

الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في العصر الأندلسي

**Color Coding in the Poetry of Nature in the
Andalusia Era**

إعداد

عبدالعزیز غنام المطيري

إشراف الأستاذ الدكتور

عبدالرؤوف زهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

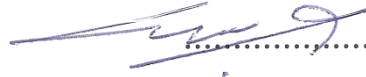
كانون أول/2014

التفويض

أنا الطالب عبد العزيز غنام المطيري أفوض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات أو المنظمات أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاسم: عبد العزيز غنام المطيري

التاريخ: 2014/12/31

التوقيع: 

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها " الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في الأندلس " وأجيزت بتاريخ: ٢٠١٤/٨/٢٤.

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع

.....
.....
.....

١- الدكتور د. (أحمد زهير) ، مشرفاً ورئيساً

٢- الدكتور م. (عبد الحليم) عضواً

٣- الدكتور د. (عبد الحليم) ، ممتحناً خارجياً

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر لمشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور/ عبدالرؤوف زهدي، لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر للوزير للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور سعود عبدالجابر والأستاذ الدكتور حمدي منصور لما سيبدونه من مقترحات قيمة تهدف إلى تصويب الرسالة والارتقاء بها.

وكذلك لكل من سَهَّل لي مهمتي في إنجاز هذه الرسالة.

جزاكم الله جميعاً عني كل خير وسدد على طريق الحق خطاكم.

الإهداء

إلى روح والدي طيب الله ثراه

والى التي:

تحكي الألوان دلالتها

عمّن في قلبي محبتها

فاللون الأخضر يخبرني

عن غيث يروي أحبّتها

والأصفر في الوجه الشاحب

ذبلت كي تنمو نبتتها

وبياض الشيب يحدثني

عن لون بياض صحيفتها

واللون الأحمر في خدّ

يرمز لدلالة حشمتها

واللون الأسود في ثوب

يكتب عنوان طهارتها

أمّي

““

مع المحبة والاحترام

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
التفويض	ب
قرار لجنة المناقشة	ج
الشكر والتقدير	د
الإهداء	هـ
قائمة المحتويات	و - ز
الملخص باللغة العربية	ح
الملخص باللغة الإنجليزية	ط
الفصل الأول	
مقدمة	1
مشكلة الدراسة وأسئلتها	6
أهداف الدراسة	6
أهمية الدراسة	6
حدود الدراسة	7
المصطلحات	7
الإطار النظري	8
الدراسات السابقة	19
الطريقة والإجراءات	12
منهجية الدراسة	12
تمهيد	13
الفصل الثاني	
الدلالة النفسية للألوان	16
اللون في اللغة	16
اللون في القرآن الكريم	21
اللون في الشعر العربي	27

45	اللون والدلالة الدينية
47	اللون والخرافة
50	دلالة اللون في تفسير الأحلام
55	الفصل الثالث الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في الأندلس
58	المبحث الأول: الأبيات التي ذُكر بها لون واحد
58	الأبيض
63	الأسود
67	الأحمر
73	الأصفر
87	الأخضر
82	الأزرق
84	المبحث الثاني: الأبيات التي ذُكر بها أكثر من لون
85	الأبيض والأسود
89	الأحمر والأصفر
93	الأبيض والأصفر
95	الأحمر والأبيض
96	الأبيض والأخضر
96	الأخضر والأسود
97	الأخضر والأبيض والأصفر
98	الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر
99	الخاتمة
100	النتائج
102	قائمة المصادر والمراجع

الملخص

الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في العصر الأندلسي

إعداد

عبد العزيز غنام المطيري

إشراف

أ.د. عبدالرؤوف زهدي

تناول الباحث الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في الأندلس، وقام بتنظيم الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول، وجعل في الفصل الأول المقدمة مدخلاً للبحث، وأسئلة البحث، وأهميته، وأهدافه، والإطار النظري والدراسات السابقة.

وفي الفصل الثاني استعرض الدلالة النفسية للألوان، في حقل اللغة والقرآن والشعر العربي ومجالات متعددة تناولت اللون ورمزيته واستخداماته بما يحمل من دلالات نفسية.

وذكر في الفصل الثالث نماذج من شعر الطبيعة التي ذكرت الألوان المختلفة لبيان دلالاتها النفسية بأبعادها المختلفة، وقد اعتمد الألوان الأساسية لموضوع الدراسة، بالإضافة إلى اللون الأزرق. ثم خاتمة الدراسة، ثم ملخصاً لأهم النتائج التي توصل إليها في دراسته عن الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة الأندلسية، ثم قائمة المراجع والمصادر.

Abstract

Color Coding in the poetry of nature in the Andalusia Era

Preparation

Abul-Aziz Al-Mutairi Ghannam

Supervision

Prof. Dr.Zuhdi Abdul Rauf

The researcher has dealt with the psychological significance of the color in the nature poetry in Andalusia, he organized the study in an introduction and three chapters, and make in the first chapter the introduction as an approach to the research and the research question, its importance and its goals, the theoretical frame and the literature review.

In the second chapter, the researcher illustrated the psychological significance of the colors in the language, the Quran and the Arabic poetry field, and many fields that have addressed the color it's and symbol and usages with what it carries of psychological significance.

In the third chapter the research mentioned models of the nature poetry that mentioned the different colors to show their psychological significance on their different dimensions, he adopted the basic colors for the study topic, in addition to the blue color, then the study conclusion, and abstract of the most important results that he has reached in his study about the psychological significance of color in the nature poetry in Andalusia, then the list of references and sources.

الفصل الاول

مقدمة:

اللغة أداة للتعبير، ولكل لغة مجموعة ألفاظ أو مفردات دالة على مفاهيم أو مقاصد معينة، وتحمل هذه الألفاظ دلالة واحدة أو عدة دلالات للأفظة الواحدة، وكلما زاد ثراء المعجم اللغوي زادت القدرة التعبيرية في توصيل المفاهيم والمقاصد، ومما لاشك فيه أنّ اللغة العربية تمتاز بأنها بحر مليء باللؤلؤ والدّر المكنون في قاعه، وأنّ الخطيب المفوّه أو الشاعر المتمكن؛ قد غاص في بحرهما واستخرج مكنوناتها التي أنارت وتلألأت في سماء خطبته أو قصيدته.

الشعر فن كغيره من الفنون، ولكل مبدع أداة، وأداة الشاعر كلماته التي تجتمع في قالب الوزن والقافية لتخرج صورة فنية، وتختلف هذه الصورة في مدى براعتها من شاعر إلى شاعر آخر حسب قدرته اللغوية والتصويرية في إخراج المعاني.

وقد اهتم العرب منذ فجر التاريخ بالشعر حتى أصبحت صنعة الشعر ميزة يمتاز بها الشاعر، ويعلو شأنه ومكانته عن غيره فقط لكونه شاعرًا، وقلما تجد بين العرب باختلاف مشاربهم من لا يُلقب بالشعر أو الشعراء اهتمامات. إنّ الشعر بالنسبة للعرب فضلًا عن أنه فن يستمتع به الهاوي؛ فقد كان وسيلة من الوسائل التي يعرف بها أحوال العرب وأخبارهم وتاريخهم وأنسابهم.

لقد برع الشعراء في العصر الجاهلي في نقل مظاهر الحياة الصحراوية وأخرجوا لنا لوحة تعكس الواقع الذي كانوا يعيشونه، فنجد الشاعر يفتتح قصيدته بالوقوف على الأطلال ثم يبدأ بوصف رحلته وراحلته، ويصور كل ما وقعت عينه عليه من منابت العشب والخزامى والشيخ والعرار، ويصف وحوش البراري والظباء، والطير حتى ينتهي لغرضه من القصيدة وغالبًا ما يكون في المدح.

إن الشاعر ابن بيئته، وما كان شعره إلا تصويراً لتلك البيئة وما تحتويه من عناصر الطبيعة المتاحة إليه، فكما صَوَّر لنا الشاعر الجاهلي البيئة الصحراوية من خلال وصف منابت العشب والعرار والخزامى والشيخ و...، فقد صَوَّر لنا الشاعر الأندلسي بيئته من خلال وصف الرياض والحدائق والأنهار، وما تحتويه من أزهار وياسمين ونيلوفر ونرجس و...، وكما افتتح الشعراء في العصر الجاهلي معلقاتهم بالوقوف على الأطلال، ذهب معظم الشعراء في الأندلس إلى الابتداء بوصف الطبيعة والتغني بجمالها.

رغم اختلاف شعر شعراء الأندلس العربي عن الشعر في المشرق العربي في وصف الطبيعة، إلا أن الشعر في الأندلس ما هو إلا امتداد للشعر العربي منذ نشأته، ولم يخرج عن إطار أغراضه من مدح وهجاء وغزل ورناء ووصف و...، وكثير من الشعراء الأندلسيين من تأثر بشعراء المشاركة كابن هانئ حتى سميَ منتبّي الأندلس، وابن خفاجة صنوبري الأندلس، ولقب ابن زيدون ببحتري الأندلس. ومن مظاهر تأثرهم بالمشاركة أيضاً، " كما فعل أبو محمد علي بن حزم في قصيدة كانت أشطارها الأولى له، وأعجازها لطرفة بن العبد"⁽¹⁾، يقول ابن حزم:

تَذَكَّرْتُ وَدًّا لِلْحَبِيبِ كَأَنَّهُ " لَخَوْلَةٌ أَطْلَلْتُ بِرُقَّةٍ تُهْمِدُ "

وعهدي بَعْدُ كَانَ لِي مِنْهُ ثَابِتٌ " يَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ "

وَقَفْتُ بِهِ لَا مَوْقِنًا بِرُجُوعِهِ " وَلَا آيسًا أَبْكِي وَأُبْكِي إِلَى الْغَدِ "⁽²⁾.

(1) حميد، بدير متولي (1964م). قضايا أندلسية، ط1، القاهرة، دار المعرفة، ص62.

(2) ابن حزم (2012م). طوق الحمامة في الألفة والألاف، أخرجه نزار وجيه فلّوح، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، ص138.

ولما كان هذا التأثير والتشابه بين المغاربة والمشاركة، فقد طرق الشعراء في الأندلس باب اللون كما طرقه شعراء المشرق للدلالة الرمزية للمعنى المراد إسقاطه في أشعارهم، ولكن تميز الأندلسيون عن المشاركة بكثرة استخدام اللون وتوظيفه في قصائدهم وتفننوا به، وذلك لما وهبهم الله من طبيعة غناء تزخر بالألوان الزاهية، بالإضافة إلى أن وصف الطبيعة كان من أهم الأغراض التي اشتهروا بها.

إن ذكر اللون وتوظيفه لم يكن وليد الخطاب الشعري، ولم يكن محصوراً في خزائن الشعر والشعراء، فقد كان اللون وتوظيفه للدلالة الرمزية جزءاً لا يتجزأ من لغة العرب، فمنه قولهم: " فلان أبيض وفلانة بيضاء، فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب"⁽¹⁾، ويقال " إنه لفي صفرة للذي يعتريه الجنون"⁽²⁾. وقد ذكر اللون أيضاً في القرآن الكريم والسنة النبوية بدلالاته الرمزية المختلفة، فجاء اللون تارة للدلالة على الوقت، كقوله تعالى: " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ"، سورة البقرة 187، وفي الحديث قال (ص): (ووقت العصر ما لم تصفر الشمس)⁽³⁾، وجاء اللون تارة أخرى للدلالة على الجمال، قال تعالى: " لَأْم تَرَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ"، فاطر 27، ومن دلالات اللون المتعددة الدلالة النفسية في قوله تعالى: " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ"، آل عمران 106، وفي الحديث ما روي عن النبي (ص): (كان أحب الألوان إليه الخضرة)⁽⁴⁾.

(1) ابن منظور، جمال الدين (2011م). لسان العرب، بيروت، دار صادر، مادة بيض.

(2) المصدر السابق، مادة صفر.

(3) مسلم (2006م). صحيح مسلم، تحقيق نظر بن محمد الفاريسي أبو قتيبة، ط1، دار طيبة، ح612.

(4) الألباني، محمد ناصر الدين (1995م). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،

استخدم اللون موضوعات للدراسات في شتى العلوم، فكان مادة للدراسة في علم الطب لما يحمله من دلالة على الصحة وعلى المرض، وتناوله علماء الطبيعة، وعلماء الدين، والأدب و...، وكل علم من هذه العلوم أخذ في تتبع دلالات الألوان، وفك رموزها، وتبيان معانيها.

وكون الألوان تضيف جمالاً وسحراً يسهم بشكل كبير في زيادة رونق العمل الفني وتألقه، فضلاً عن أبعادها المختلفة التي تثري مادة المبدع كاتباً كان أو شاعراً أو رساماً، فقد قام الشعراء الأندلسيون باستخدام هذا العنصر الجمالي ودمجوه في أشعارهم، فأضافوا إليها الجمال والمتعة للمتلقي، وذلك لما كان لأرض الأندلس من طبيعة ساحرة وغنية بالألوان الرائقة التي ألهمت الشعراء وأسرتهم وجعلتهم يكثر من التغني بها وبجمالها، فأجادوا في صنع البديع الذي استحضروه من الرسومات المتناثرة في أرجاء الطبيعة الباهرة، حتى أصبحت هذه الطبيعة مرآة انعكست صورتها الجميلة في أشعارهم.

ومما لا شك فيه أنّ للألوان مدلولات متعددة ترجع إلى تعدد الأبعاد سواء كانت دينية أو اجتماعية أو سياسية ، متعلقة بأساطير واعتقادات حقيقية كانت أو خرافية، سائدة في مجتمع ما أو بيئة معينة أو في عصر من العصور، وغالباً ما كانت هذه الدلالات تقترن بالدلالة النفسية التي اكتسبت الصورة الذهنية لدلالاتها الأولى من وحي الطبيعة، ثم تطورت وتمحورت في أبعاد مختلفة، كاللون الأخضر مثلاً، فهو في الطبيعة يحمل دلالة الحياة والنضارة والخصوبة والنماء، بينما يحمل اللون الأخضر في البعد الديني الدلالات المحببة للنفس، فنجد في قبب المساجد، ولباس بعض رجال الدين، وأن استقل هذا اللون في الدلالة الدينية، فإنه لا يخرج عن أصل الدلالة النفسية المستمدة من الطبيعة. والبعد السياسي لا يختلف عن البعد الديني، فكثير من البلدان اتخذت الرايات أو الأعلام الخضراء شعاراً لها، وذلك إما للإشارة وللدلالة على أنّ هذا البلد يحمل طابعاً دينياً، أو لما كان للون الأخضر من دلالات النماء والنضارة والخصوبة كما أسلفنا.

وتعدّ الدلالة النفسية من أهم دلالات اللون التي عبر عنها الشعراء وأكثرها، لذلك رأى الباحث أن يطرق باب شعر الطبيعة في الأندلس للبحث في مكنونات الأشعار لاستخراج مدلولات الألوان النفسية وأبعادها المختلفة. وقد اعتمد الباحث في مجال بحثه على الألوان الأساسية وهي الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر، بالإضافة إلى اللون الأزرق.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

وظف الشعراء اللون في أشعارهم للدلالة على مكنوناتهم وما يجول في خواطرهم من أفكار، وتعد الدلالة النفسية للون أهم دلالة استخدمها الشعراء في أشعارهم وأكثرها. وقد تناولت هذه الدراسة الدلالة النفسية للألوان في شعر الطبيعة في الأندلس، وتوضيحها بأبعادها المختلفة، وذكر النماذج الموضحة لذلك، في محاولة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أهمية استخدام ألوان الطبيعة في الشعر؟
2. كيف وظف الشعراء الأندلسيون ألوان الطبيعة في الشعر؟
3. ما الألوان التي تحمل دلالات نفسية في الشعر؟
4. ما دلالة الألوان النفسية وأبعادها المختلفة في شعر الطبيعة عند الشعراء الأندلسيين؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. بيان المقصود باللون وذكر الألوان.
2. بيان أهمية ألوان الطبيعة التي استخدمت في الشعر الأندلسي.
3. تحديد الألوان التي تحمل دلالات نفسية في الشعر.
4. الكشف عن أثر أبعاد الدلالات المختلفة للألوان على النفس.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة في بيان استخدامات الألوان ودلالاتها وأبعادها المختلفة في شعر الطبيعة في الأندلس، والمتأمل إلى إثراء الدراسات التي اهتمت بدلالة اللون النفسية.

كما تأتي أهمية الدراسة من الناحية العملية من إمكانية استفادة الفئات التالية منها:

1- المهتمون بمجال الشعر العربي للتعرف إلى الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في الأندلس.

2- الباحثون من خلال جعل الدراسة نواة لدراسات أخرى مشابهة.

حدود الدراسة:

عينة الدراسة تتمثل في اللون في شعر الطبيعة في الأندلس.

المصطلحات:

اللون لغة: هيئة كالسواد والحمرة، ولونته فتلون. ولون كل شيء: ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان⁽¹⁾.

اللون اصطلاحاً: ما هو إلا ذلك التأثير الفسيولوجي الناتج على شبكة العين، سواء أكان هذا اللون مادة صباغية، أم ضوءاً ملوناً⁽²⁾.

شعر الطبيعة: هو الشعر الذي يتخذ من عناصر الطبيعة الحية والصامتة مادة موضوعاته⁽³⁾.

الدلالة النفسية للألوان: إدخال شعور من نمط آخر إلى النفس وعالم الحس، الذي يتأثر ويستجيب لما تراه العين، أو يقع في القلب، فكل لون يعني لنفس معينة معنى جديداً غير مستقر في بقية أنفس البشر الآخرين⁽⁴⁾.

التعريف الإجرائي:

وعلى ذلك فإن الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة نعني بها دلالة ألوان شعر الطبيعة في الأندلس والتي أحدثت تأثيراً في نفس المتلقي من انفعالات وأحاسيس متنوعة.

(1) لسان العرب، مادة لون.

(2) علي، إبراهيم محمد (2001م). اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، ط1، لبنان، طرابلس، ص19.

(3) عتيق، عبدالعزيز (1976م). الأدب العربي في الأندلس، ط2، بيروت، دار النهضة، ص13.

(4) الزواهرة، ظاهر (د.ت). اللون ودلالته في الشعر، ط1، عمان، دار الحامد، ص15.

الإطار النظري:

بنّ الدهان (1963م). في كتابه، الوصف، صوراً من الطبيعة الميتة والمتحركة، ووضح فيه كيف نظر العربي على اختلاف الزمن إلى موضوعات الوصف من حيوان، وأرض، وسماء، وخمر، وسلاح، وحرب في العصر الجاهلي ثم الأموي فالعباسي والأندلسي إلى أن بلغ المعاصرين الإيجاز بشعرهم في الوصف مع ورود الأمثلة التي توضح ذلك⁽¹⁾.

وتناول عتيق (1976م). في كتاب الأدب العربي في الأندلس، تاريخ الأدب العربي في الأندلس محاضرات هدفه منها عرض صورة موجزة عن الأدب العربي وبلاغتهم في الأندلس، وتبيان أطوار هذا الأدب من نثر وشعر، وتحدي الفنون الأدبية التي توسع فيها الأندلسيون أو استحدثوها، وذكر بعض أدبائهم وشعرائهم، مستمداً عناصر نشأته ووجوده من طبيعة أرض الأندلس وأحداث تاريخها وحياة مجتمعتها، لذلك تحدث في بداية كتابه عن جغرافيا الأندلس⁽²⁾.

وجاء في كتاب إبراهيم (2008م). قاموس الألوان عند العرب، ، مبيناً أربعمائة وتسعة وثمانين لوناً من الألوان الشائعة، هي في مجملها تثبت ثراء الألوان عند العرب من ناحية، وتبهم لدرجات اللون الواحد من ناحية ثانية، وتشير إلى دقة ملاحظتهم من ناحية ثالثة⁽³⁾.

وهذا ما يهم الباحث فيستطيع أن يذكر اللون وتدرجه المستخدم في شعر الطبيعة عند الشعراء الأندلسيين.

(1) الدهان، سامي (1963م). الوصف، مصر، دار المعارف.

(2) الأدب العربي في الأندلس.

(3) إبراهيم، أحمد (2008م). قاموس الألوان عند العرب، ط2، القاهرة، دار النهضة.

عرض المنصوري (2000م). في كتابه، اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف فاعلية اللون في الشعر الأندلسي موضوعاً وفناً، وقد تناول المؤلف في التمهيد ثلاثة جوانب: تناص الفنون وفيها تداخل الفنون ومنها الشعر والرسم حتى توصل إلى الحديث عن اللون في الشعر، وعن اللغة واللون، واللون في الشعر الأندلسي بين رافد التراث ورافد البيئة ومدى أهمية البيئة الأندلسية في رقد الشعر بألوان شتى وهذا ما يهتم الباحث في دراسته.

أما الفصل الأول فقد تناول اللون والأغراض الشعرية من مدح وغزل ووصف وطبيعة وخمر وحرب وأغراض أخرى كالشيب والهجاء والرثاء، وعرض في الفصل الثاني المعجم اللوني الأندلسي وتناول فيه اللون في التشبيه والاستعارة والكناية والتراسل الحواسي والتضاد والصوت⁽¹⁾.

ويفيد الباحث من هذه الكتب في دراسة اللون بأبعاده المختلفة، وتأثيرها في نفسية المتلقي، والبحث في تدرج اللون الواحد الموجود في شعر الطبيعة عند الأندلسيين.

⁽¹⁾ المنصوري، عبدالرحمن (2000م). اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، بيروت، اتحاد الكتاب العرب.

الدراسات السابقة

تناولت دراسة حمدان (2008م). دلالات الألوان في شعر نزار قباني، دراسة اللون في شعر نزار قباني دراسة دلالية أسلوبية، هدف فيها إلى إحصاء الظواهر اللونية في شعر نزار وإبرازها، ودراسة التراكيب اللونية على المستويين الدلالي والأسلوبي، وتناول الباحث دلالات ألفاظ الألوان وإحياءاتها وهذا ما يفيد الباحث في دراسته هذه، إذ سيدرس دلالة الألوان والأبعاد التي تجعل من هذه الألوان سبباً لبعث الطمأنينة والراحة والنشاط والحيوية، ورمزاً لمشاعرنا المختلفة من حزن وسرور⁽¹⁾.

وضحت البيك (2010م). في رسالتها، دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، دلالة الألوان بين الحقيقة والمجاز، ودور الألوان في تشكيل الصورة الحسية، والألوان في تشكيل الصورة التجريدية، وحاولت استقصاء الأبعاد النفسية للألوان في مختلف الأغراض الشعرية⁽²⁾.

تناول أحمد (2012م). في مقدمة بحثه، إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة ، عرضاً لتوظيف الألوان في الشعر العربي ،وتتبَّه النقاد العرب القدماء لهذا الموضوع، ثم انتقل إلى وصف الألوان وتوظيفها في شعر المناصرة، وعدد تلك الألوان مفردة، ولفت البحث النظر إلى تقرد اللون الأخضر ، وحلولة في المرتبة الأولى بين الألوان التي وظفها الشاعر، ودور البيئة والحالة النفسية في ذلك، ثم عرض البحث موضوع تمازج الألوان وتداخلها، وآلية الشاعر في توظيفها⁽³⁾.

⁽¹⁾ حمدان، أحمد (2008م). دلالات الألوان في شعر نزار قباني. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

⁽²⁾ البيك، أماني (2010م). دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

⁽³⁾ أحمد، حيدر (2012م). إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 20، ع1، ص

وقد تناولت البيرماني (2012م). دلالة اللون في الشعر النسوي العراقي المعاصر، إذ يعد عالم الألوان من أكثر العوالم اقتراباً لعالم المرأة، (الشاعرة) التي لمست من خلاله مدى إبداعها في التعبير عما يعتري وجدانها من أحاسيس، فارتبطت برمزية اللون بشكل نفسي، لذلك قدمت لوحات شعرية تستوعب حجم معاناتها بقضايا خاصة وعامة، وبذلك كشفت السطور الملونة عن رقة الشاعرة العراقية وجمالية تعاملها مع اللون ودلالاته، لا سيما اللون الأخضر والأحمر اللذان كانا أكثر اقتراباً لإحساس الشاعرة العراقية المعاصرة في معالجة قضاياها الوجدانية⁽¹⁾.

تناولت دراسة شحادة (2013م). اللون ودلالاته في شعر البحتري، إذ تم الوقوف على الشواهد التي برز فيها عنصر اللون في ديوانه، وتناولها بالدرس والتحليل، وقد جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول.

ويعرض التمهيد للجهود العربية القديمة في دراسة اللون، وذكر أهم المصادر التي تناولت هذا الموضوع، وفيه أيضاً عرض لموقف النقاد القدماء والمحدثين من قضية التقارب بين فني الشعر والرسم، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات⁽²⁾.

ويفيد الباحث من الدراسات السابقة في محاولة البحث عن دلالات الألوان المختلفة في الشعر الأندلسي عامة وشعر الطبيعة خاصة، واستقصاء الأبعاد النفسية للألوان في شعر الطبيعة الأندلسية بالذات، وهذا ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.

⁽¹⁾ البيرماني، فرح (2012م). دلالة اللون في الشعر النسوي العراقي المعاصر، مجلة الأستاذ، ع203.

⁽²⁾ شحادة، نصر (2013م). اللون ودلالاته في شعر البحتري. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الخليل، الخليل، فلسطين.

الطريقة والإجراءات:

سيقوم الباحث بتنظيم الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول، وجعل في الفصل الأول المقدمة مدخلاً للبحث، وأسئلة البحث، وأهميته، وأهدافه، والإطار النظري والدراسات السابقة.

وفي الفصل الثاني تناول الدلالة النفسية للألوان، في حقل اللغة والقرآن والشعر العربي ومجالات متعددة تناولت اللون ورمزيته واستخداماته بما يحمل من دلالات نفسية.

وعرض في الفصل الثالث نماذج من شعر الطبيعة التي ذكرت الألوان المختلفة لبيان دلالاتها النفسية بأبعادها المختلفة. ثم خاتمة الدراسة والنتائج التي توصل إليها في دراسته عن الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة الأندلسية، ثم قائمة المصادر والمراجع.

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسة الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في الأندلس.

تمهيد

الشعر الأندلسي ككل تعبير أدبي تأثر بعوامل مختلفة، دينية وسياسية وثقافية واجتماعية، ولكننا نرى أن بيئة الأندلس الطبيعية كانت أهم العوامل التي تأثر بها الشعر، فقد كانت تعج بأجمل المناظر وأحسن المرائي، من حدائق وجنات، وأزهار وثمار، وفواكه وأنهار، ومن دور وقصور، فيها فوارات ونوافير، وعليها تماثيل وتصاوير، ثم هذه المرأة الأندلسية بشعرها الأصفر، ووجهها الأشقر، وعينيها الزرقاوين، كل ذلك الجمال والترف دفعهم إلى التنمية والتفنن، فالجمال الطبيعي حركهم لشعر الوصف، فأكثرُوا منه وجوّدوا فيه، بحيث إننا نستطيع أن نقول إن شعراءهم كانوا شعراء بالطبيعة وفي الطبيعة، والجمال الإنساني حرك نفوسهم في القول في شعر الحب، ولا يصح أن نتناسى أثر البيئة في الشعر، فكلما تحضّرت الأمة رقّ شعرها ولان، وكلما تبيّت جزل شعرها وخشن.⁽¹⁾

ومما أثر في الشعر وجود المجالس الأندلسية، وكانت كثيرة بين الخاصة والعامة وكان الشعر يقرض فيها ارتجالاً، ولما كان على البديهة فإن معظمه مقطوعات صغيرة، وأكثره في الخمر والغزل والوصف، ولما كان الداعون إلى تلك المجالس ملوكاً ووزراء، فقد وجد المدح فيها لنفسه مكاناً، وشعر المجالس يدل بوضوح على حياتهم وبيئتهم الاجتماعية، إذ لا يكاد يمر يوم دون أن يقام فيه مجلس أو تأتي ليلة إلا ويكون الاستعداد قد تم لإحيائها، لأنها تؤنس القوم، فهناك يأنسون ويسمرون، ويشربون ويطربون، ويرسلون شاعريتهم تتحدث عن تلك المجالس حديث الخبير العليم، ويمكننا أن نقول إن شعر المجالس كان مما امتاز به الأندلسيون.⁽²⁾

(1) قضايا أندلسية، انظر ص 87-88.

(2) المصدر السابق، انظر ص 92.

فالتنقل والحركة من ممّوات المجتمع الأندلسي، والاجتماع حول مجالس الأُنس والشراب كان ظاهراً وبقي مستمراً، لانسجامه مع بيئة الأندلس الطبيعية⁽¹⁾، وكانت المجالس في الأندلس أثراً من آثار البيئة الأندلسية الناعمة؛ إذ تعد البيئة الأندلسية من أهم العوامل التي أثرت في الشعر، فعملت على إكثاره وترقيقه وتجويده وهو يدل بوضوح على رقي حياتهم وبيئتهم الاجتماعية، ففي هذه المجالس كانت شاعريتهم تتحدث عما يدور فيها، وكان بعض الحكام سبباً مباشراً في بروز هذه الظاهرة، فقد كان للحاجب المنصور ابن أبي عامر (مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحضرته ما كان مقيماً بقرطبة)⁽²⁾.

ولما كانت بيئة الأندلس الطبيعية رافد أساسي للصورة الشعرية؛ فقد كان للون حضور مباشر في شعر شعراء الأندلس خاصة في مجالسهم الشعرية وما يحدث بها من ارتجال للشعر؛ مما يدعو الشاعر إلى استحضار الألوان التي تحمل دلالة رمزية تغني عن الإطالة في المقطوعات القصار، ومن ذلك ارتجال الشاعر ابن دراج القسطلي بعض الأبيات حينما طلب منه المنصور ابن أبي عامر أن ينشد شعراً في وصف تفاحة ليختبر شاعريته⁽³⁾:

يَا حَبْدَا خَبْلُ التُّفَّاحِ فِي طَقِّ مُنْضَدِّ بَجْنِي الزَّهْرِ مُتَسِقِ
فِيهِ عُيُونٌ بِهَارٍ قَدْ أَحْطَنَ بِهِ نَوَاطِرًا بِجَفُونِ الْعَاشِقِ الْأَرَقِ
كَأَنَّ مَا أَحْمَرَّ مِنْ تَفَّاحِهِ خَجَلًا بَرْدًا قَطْعًا مِنْ حَمَرِ الشَّفَقِ

(1) ابن خاقان، الفتح بن محمد (1983م). مطمح الأنفس ومسرح النأس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، دار عمار، ص118.

(2) الباجلاني، آزاد محمد (2013م). المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى السقوط، ط1، الأردن، دار غيداء، ص21-22.

(3) القسطللي، ابن دراج (1961م). ديوانه، تحقيق محمود علي مكي، ط1، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، ص45.

في مجلس الملك المنصور يانعة كأنما غُت من جوده الغنى⁽¹⁾.

وقد استحضّر الشاعر هنا لون التفاح وهو اللون الأحمر ثم وصفه بأشهر دلالة رمزية له في المخزون الثقافي وهي دلالة الخجل، فالألوان تحمل تفسيرات نفسية متأثرة بعوامل ثقافية وفسولوجية متعددة، ومن الشائع أن الدلالة الرمزية للألوان تتباين من حيث المكان والزمان، وأنها أكثر ارتباطاً بالثقافة والعادات والتقاليد والوسط الاجتماعي، وإذا ما تغير النسق الاجتماعي والثقافي تغيرت معه تلك الدلالات أيضاً⁽²⁾ ومثال على ذلك لون لباس الحداد في المشرق العربي هو الأسود بينما في المغرب العربي كانوا يلبسون الثياب البيضاء في ماتمهم، فالدلالة الرمزية للون ليست مستقلة بصورتها وإنما تخضع لثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده.

ومما لا شك فيه أن بواعث التطور الثقافي والحضاري والاجتماعي التي اتسم بها العصر الأندلسي كانت ذات أثر عميق في نفوس الشعراء، فظهر ذلك في أشعارهم، فضلاً عن الفكر المشرقي الذي حملوه معهم حين دخولهم الأندلس، إذ لا يمكن الفصل بين موروّثهم، وما تتمتع به شخصياتهم من أصول تضرب جذورها إلى عمق الثقافة المشرقية، لكن تطور الحياة، وتغير البيئة، كان له الأثر الأبرز في تكوين ملامح الشخصية الأندلسية فيما بعد، وقد خضعت المفردة اللونية في الشعر الأندلسي إلى شكل من أشكال التجديد، وذلك من خلال استلهاهم مشاهد الطبيعة التي ألقت بظلالها على شعرية الألفاظ اللونية، فغدت معلماً بارزاً يشار إليه كلما مرّ ذكر الأندلس.⁽³⁾

(1) ديوان ابن دراج، ص 512.

(2) خضر، عادل كمال، وعبدالغني، خالد محمد (2008م)، "العلامات الدالة على القلق في اختبار رسم المنزل والشجر والشخص" مجلة علم النفس، مصر، س 21، ع 76، 79، أكتوبر، انظر ص 44.

(3) السامرائي، علي إسماعيل (2013م). اللون ودلالاته الموضوعية والفنية في الشعر الأندلسي، ط 1، الأردن، دار غيداء، انظر ص 26-

الفصل الثاني

الدلالة النفسية للألوان

إن للألوان دلالات متنوعة ومتعددة تدخل في حقول معرفية مختلفة، وما يهمنا في هذا الفصل هو البحث والتقصي لاستخراج دلالات اللون النفسية قدر الإمكان من هذه الحقول المعرفية كاللون في اللغة، ودلالته في القرآن الكريم، وفي الشعر، وفي علم تفسير الأحلام، وفي الأديان والاعتقاد، وفي الأساطير، وعند علماء النفس، كي يتسنى لنا ملاحظة ما تشابه وما اختلف من هذه الدلالات النفسية للون ومقارنتها بموضوع الدراسة في الفصل الثالث وهو الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في الأندلس.

اللون في اللغة

لقد اعتمد الباحث قاموس لسان العرب لابن منظور في دراسته لاستخراج المدلولات النفسية للألوان في لغة العرب، وقد "عدَّ النمرى في كتابه (الملمع) خمسة ألوان أساسية في اللغة العربية وهي: الأبيض، والأسود، والأحمر، والأصفر، والأخضر"⁽¹⁾. ورأى الباحث أن هذه الألوان قد ارتكزت عليها أكثر الدراسات في الحقول المعرفية وخاصة في الشعر، ووظفها الشعراء كثيراً في أشعارهم.

ويعلل النمرى في اختياره هذه الألوان أنها الأساسية إذ عمدت العرب إلى نواصع الألوان فأكدتها فقالت: أبيض يقق، وأسود حالك، وأحمر قانئ، وأصفر فاقع، وأخضر ناضر، فأما لون الغبرة والسمره

(1) النمرى، الحسين بن علي (1976م). الملمع، تحقيق وجيهة أحمد السّطل، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ص1.

والزرقة " والصحمة"⁽¹⁾ والشقرة وأشكالهن من الألوان ليست نواصع خوالص، وكل يرد إلى نوعه، فالغبرة إلى البياض والسمرة إلى السواد، والزرقة إلى الخضرة، والصحمة إلى الصفرة، والشقرة إلى الحمرة⁽²⁾.

" والزرقة من الألوان غير المحددة عند العرب، فهي عندهم البياض، وهي الخضرة، وهي الكدرة، وهي اللون الضارب إلى الحمرة، ومن أجل هذا لم يرد لفظ الأزرق إلا في تعبيرات قليلة مثل الأسنة: زرقاء، والخمر: زرقاء"⁽³⁾.

ومما لا شك فيه بأن اللغات تستخدم ألفاظ الألوان استخدامات مجازية قد يشيع بعضها ويجري مجرى الأمثال، كما أنها عن طريق المعاني الرمزية أو الإيحائية للألوان تستخدم ألفاظها في تعبيرات لغوية لا يفهم معناها بمجرد فهم مفرداتها إذ تصبح تركيباً موحداً ذا معنى خاص⁽⁴⁾.

استخرج الباحث من قاموس العرب مادة كل لون من الألوان الأساسية، بالإضافة إلى اللون الأزرق، واقتصر على استخراج ما تحمله من رمزية للدلالة النفسية، وهي كالآتي:-

اللون الأبيض:

بيض: البياض: ضد السواد، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبله غيره. البياض لون الأبيض. وكلمته فما ردّ عليّ سوداء ولا بيبضاء أي كلمة قبيحة ولا حسنة. وكلام أبيض: مشروح على المثل أيضاً. واليد البيبضاء: الحجة المبرهنة، وهي أيضاً اليد التي لا تمن وتعطي عن غير سؤال وذلك لشرفها في أنواع الحجاج والعطاء. وبياض الأرض: ما لا عمارة فيه. التهذيب: إذا قالت العرب

(1) الصحمة: سواد إلى صفرة، لسان العرب، مادة صحم.

(2) الملمع، انظر ص7.

(3) عمر، أحمد مختار (1982م). اللغة واللون، ط1، القاهرة، عالم الكتب، ص78.

(4) المصدر السابق، انظر، ص69.

فلان أبيض وفلانة بيضاء فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب، وإذا قالوا: فلان أبيض الوجه وفلانة بيضاء الوجه أرادوا نقاء اللون من الكلف والسواد الشائن⁽¹⁾.

فقد جاءت الدلالة النفسية للون الأبيض في اللغة بقاموس لسان العرب على دلالة الحسن، ودلالة الشرف، ودلالة النقاء.

اللون الأحمر:

حمر: الحمرة: من الألوان المتوسطة معروفة. لون الأحمر يكون في الحيوان والثياب وغير ذلك مما يقبله. والعرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء. وفي الحديث عن علي كرم الله وجهه، أنه قال: "كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ النَّبَأُ لِقَايَ الْقَوْمِ الْقَوْمَ أَفِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ (ص)، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ"⁽²⁾، أي إذا اشتدت الحرب استقبلنا العدو برسول الله (ص)، وجعلناه لنا وقاية. يقال موت أحمر أي شديد. والموت الأحمر: موت القتل، وذلك لما يحدث عن القتل من الدم. وقالوا: الحسن أحمر أي شاق أي من أحب الحسن احتمل المشقة. والحمرة: داء يعتري الناس فيحمر موضعها⁽³⁾.

وجاءت الدلالة النفسية للون الأحمر في اللغة بقاموس لسان العرب على دلالة الشدة، والموت والقتل والدم، والمشقة، والمرض.

(1) انظر، لسان العرب، مادة بيض.

(2) ابن حنبل، أحمد بن محمد (د.ت). المسند، شرح أحمد محمد شاكر، ج2، القاهرة، دار الحديث، 1/157.

(3) انظر، لسان العرب، مادة حمر.

اللون الأخضر:

خضر: الخضرة من الألوان: لون الأخضر، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغيرهما مما يقبله. وماء أخضر: يضرب إلى الخضرة في صفائه. خضر المناكب أراد به سعة ما هم فيه من الخصب. وقول النبي (ص): " إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ، قيل: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: المرأة الحسناء في مَنْبِتِ السُّوءِ"⁽¹⁾، شبهها بالشجرة الناضرة في دمنة البعر، وأكلها داء، قال أبو عبيد: أراد فساد النسب إذا خيف أن تكون لغير رشدة، وأصل الدمن ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها وأبوالها. ويقال: رقي الله في عين فلان بالأخضر، وهو داء يأخذ العين⁽²⁾.

كما جاءت الدلالة النفسية للون الأخضر في اللغة بقاموس لسان العرب على الصفاء، والخصوبة، وعلى السوء، والمرض.

اللون الأزرق:

زرق: التهذيب: الزَّرْقَةُ في العين، تقول: زرقت عينه، بالكسر، تَزْرُقُ زَرْقًا. ابن سيدة: الزَّرْقَةُ البياض حيثما كان، والزَّرْقَةُ: خضرة في سواد العين. وقوله تعالى (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) طه¹⁰²، فسرهُ ثعلب فقال: معناه عطاش، قال ابن سيدة: وعندي أن هذا ليس القصد الأول، إنما معناه ازرقَّتْ أعينهم من شدة العطش، وقيل: عمياً يخرجون من قبورهم بصراء كما خلقوا أول مرة ويعمون في الحشر، وإنما قيل زرقاً طامعين فيما لا ينالونه، وقال غيره: الزَّرق المياهِ الصافية.⁽³⁾

وجاءت الدلالة النفسية للون الأزرق في اللغة بقاموس لسان العرب على دلالة الصفاء والنقاء.

(1) الرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد (1983م). أمثال الحديث، عبدالعلي عبدالحميد الأعظمي، ط1، الدار السلفية، 84.

(2) انظر، لسان العرب، مادة خضر.

(3) انظر، المصدر السابق، مادة زرق.

اللون الأسود:

سود: السّود: نقيض البياض؛ سود وساد واسودّ واسوداداً وأسود اسويداداً . ويقال للأعداء: سود الأكياد⁽¹⁾.

اقتصرت الدلالة النفسية للون الأسود في اللغة بقاموس لسان العرب على العداوة والبغضاء.

اللون الأصفر:

صفر: الصفرة من الألوان: معروفة تكون في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبلها. والصفار من النبات: ما ذوي فتغّر إلى الصفرة. ورجل مصفور ومصفرّ إذا كان جائعاً، وقيل: هو مأخوذ من الصفرة، وهي حيّات البطن. ويقال: إنه لفي صفرة للذي يعتريه الجنون إذا كان في أيام يزول فيها عقله، لأنهم كانوا يمسحونه بشيء من الزعفران⁽²⁾.

جاءت الدلالة النفسية للون الأصفر في اللغة بقاموس لسان العرب على دلالة الذبول، والجوع، والجنون.

(1) انظر، لسان العرب، مادة سود.

(2) انظر، المصدر السابق، مادة صفر.

اللون في القرآن الكريم

تعددت الدراسات للون ودلالاته في القرآن الكريم، وجاءت أغلب هذه الدراسات شاملة لدلالة الألوان المختلفة، ومن هذه الدلالات التي ذكرت في القرآن، دلالة الوقت، والدلالة الجمالية للون، والدلالة على أهل الكفر وأهل الإيمان، وجاء اللون أيضاً للدلالة النفسية بمختلف أشكالها من حزن، وفرح، ونقاء، وصفاء، وطهارة، ومرض، ونضارة، و...، وهذا ما سوف يقوم الباحث بتسليط الضوء عليه.

قال تعالى: (وَمَا ذَا لَوْكُم فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا وَاثْنُهُ)، النحل12، وقد ذكرت ألوان متعددة في القرآن الكريم بدلالاتها المختلفة، وما سوف نورد من الآيات الكريمة، هي الألوان الأساسية، واللون الأزرق أيضاً، التي تحمل في طياتها دلالات نفسية.

اللون الأبيض:

قال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ فِيهَا خَالِدُونَ) آل عمران106.

إنَّ العرب إذا قالت: " فلان أبيض الوجه وفلانة بيضاء الوجه أرادوا نقاء اللون من الكلف والسواد الشائن"⁽¹⁾، ولكن في هذه الآية الكريمة اتفقت الدلالة مع ظاهر المعنى واختلفت في مضمونه، فحمل بياض الوجه دلالة نفسية ترمز لنقاء الأعمال وخلوها من الذنوب. ويفسر السعدي هذه الآية بأن

(1) لسان العرب، مادة ببيض.

الذين ابيضت وجوههم من أثر التهنئة والبشرى بدخول الجنة ورضى ربهم ورحمته والخلود في جنات النعيم⁽¹⁾.

قال تعالى: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى لَيْ يَ سُفَّ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) يوسف84.

فقوله (ابيضت عيناه من الحزن) أي أن عيني يعقوب عليه السلام تغير لونهما إلى اللون الأبيض وذلك من كثرة بكائه بسبب حسرته وأسفه لفقد ابنه يوسف عليه السلام وقوله (فهو "كظيم"⁽²⁾) أي سكت، وحبس حزنه في صدره ولم يعلنه. فقد حملت دلالة اللون الأبيض النفسية في هذه الآية الكريمة على المرض بسبب كثرة البكاء من شدة الحزن.

اللون الأخضر:

قال تعالى: (وَلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحِطُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ لَهُمْ أَجْزَاءُ) الكهف31.

لقد حمل اللون الأخضر في هذه الآية الكريمة دلالة لباس أهل الجنة من (" سندس"⁽³⁾) أي رقيق الديباج (" وإستبرق"⁽⁴⁾) الديباج الغليظ.

(1) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (2002م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثلثان، تحقيق عبدالرحمن بن معلا الأويحي، ط1،

بيروت، مؤسسة الرسالة، انظر، ص143.

(2) لسان العرب، مادة كظم.

(3) المصدر السابق، مادة سندس.

(4) المصدر السابق، مادة برق.

اللون الأسود:

قال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَهَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)

آل عمران 106.

سواد الوجه نقيض بياضه، فالذين اسودت وجوههم بسبب أعمالهم المشينة من ارتكاب الذنوب والمعاصي، لهم عذاب من الله جزاء لما صنعوا في دنياهم. فجاءت الدلالة النفسية للون الأسود ترمز للسوء.

قال تعالى: (وَإِنَّ شَرَّ أَحَدٍ مِّمَّ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) النحل 58.

وفسر الرازي قوله تعالى: (ظَلَّ وجهه مسوداً) أي يصبح متغيراً تغير المغتم، يقال لمن لقي مكروهاً قد اسود وجهه غماً، وحزناً وقد جعل السواد كناية عن الغم، وذلك لأن الإنسان إذا قوي فرحه انشرح صدره، وانبسط روح قلبه من داخل القلب؛ ووصل إلى الأطراف، ولا سيما إلى الوجه لما بينهما من التعلق الشديد، وإذا وصل الروح أشرق الوجه وتلأل واستتار، أما إذا قوي غم الإنسان احتقن الروح في باطن القلب، ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه، وإشراقه، ومن لوازم الغم كمودة الوجه، وغبرته، وسواده⁽¹⁾. فلقد جاءت دلالة اللون الأسود في هذه الآية على الهم والغم والحزن. ويؤكد السعدي في تفسيره لهذه الآية ما ذهب إليه الرازي، " بأن سواد وجه الذي بشر بالأنثى كان بسبب غمه وحزنه لما بشر به⁽²⁾ .

(1) الرازي، محمد فخر الدين (1981م). تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، ج20، دار الفكر، انظر

ص56.

(2) تيسير الكريم الرحمن، انظر، ص443.

قال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)

الزخرف 17.

جاءت دلالة اللون الأسود في هذه الآية كدلالته في الآية السابقة وهي دلالة الهم والغم

والحزن.

قال تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِالْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر 60.

وجاءت الدلالة النفسية للون الأسود في هذه الآية الكريمة على السوء، وما كان في وجوه أهل

النار من سواد بسبب أعمالهم المشينة وكذبهم على الله سبحانه.

اللون الأصفر:

قال تعالى: (قَالُوا ادْعُنَا رَبَّنَا يَنْبَغِي لَنَا مَا لَهُمْ قَالُوا قَالُوا يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْوَاعٌ فَاقْعُوا لَوْ هَا

تَسْرُ النَّازِرِينَ) البقرة 69.

يقول الرازي في تأويل قوله تعالى (صفراء فاقع لونها)، بأن أنصح ألوان الأصفر وأشدّه هو

الفاقع، يقال في التوكيد أصفر فاقع، وأبيض يقق، وأسود حالك وأحمر قاني، وأخضر ناضر، وإن ذكر

لفظ (لونها) الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة، فكأنه قيل شديد الصفرة صفرتها فهو

من قولك جدّ جدّه وجئّ جنونه، أمّا قوله تعالى (تسر الناظرين) فالمعنى أنّ هذه البقرة لحسن لونها

تسر من نظر إليها⁽¹⁾. وفي هذه الآية الكريمة حملت دلالة اللون الأصفر على البهجة والسرور.

(1) تفسير الفخر الرازي، ج3، انظر، ص128.

قال تعالى: (وَإِن لَّرُسُلُنَا رِيحًا فَذَلُّهُ مُصْفَرًا لَّا ظَلُمَ لِّمَنْ بَعْدَهُ يَكْفُرُونَ) الروم 51.

يقول السعدي في تأويل هذه الآية، إلى أن الله تعالى يخبر عن حالة الخلق، وأنهم بعد هذه النعم عليهم بإحياء الأرض بعد موتها، ونشر رحمة الله سبحانه، لو أرسلنا على هذا النبات الناشئ عن المطر، وعلى زروعهم ريحاً مضرّة أو منقصة، (فرأوه مصفراً) قد تداعى إلى التلف، (لظلموا من بعده يكفرون) فينسبون النعم الماضية، ويبادرون إلى الكفر⁽¹⁾. ويرى الباحث أن اللون الأصفر هنا جاءت دلالاته النفسية على معنى الذبول.

قال تعالى: (لَّام تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَخَهُ يَتَلَيَّ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ خَرَجَ بِهِ زَعَاً مُّخْتَلَفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يُجِطُّ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) الزمر 21.

فقوله (ثم يهيج فتراه مصفراً)، هيج بمعنى يبس واصفر، وأرض هائجة: يبس بقلها أو اصفر⁽²⁾، وقوله (ثم يجعله حطاماً) أي فتاتاً مكسراً من تفتت العود. وفي تأويل هذه الآية قيل: هو مثل ضربه الله للدنيا؛ أي كما يتغير النبات الأخضر فيصفر كذلك الدنيا بعد بهجتها⁽³⁾. وترمز دلالة اللون الأصفر في هذه الآية إلى الذبول والموت.

قال تعالى: (اغْمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَهَآخِرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْبَارِئَةَ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) الحديد 20.

(1) تيسير الكريم الرحمن، انظر، ص 644.

(2) انظر، لسان العرب، مادة هيج.

(3) القرطبي، أبو بكر (2006م). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج18،

القول في تأويل هذه الآية الكريمة (ثم يهيّج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً)، بمعنى أنها ليست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة⁽¹⁾. فقد شبه سبحانه في هذه الآية حياة الإنسان وما يتمتع به في الدنيا من متاع، بالنبات المخضر، والدال على الحياة والنضارة وإن من أطوار هذا النبات أنه يخضر وينضج باكتمال نموه، ثم يهيّج تدريجياً حتى يفقد نضارته، ويتحول لونه الأخضر إلى الأصفر بسبب ذبوله إلى أن يصبح حطاماً أي يموت ذلك النبات، فجاءت دلالة اللون الأخضر على الحياة والنضارة للمشبه (الإنسان)، والمشبه به (النبات)، وجاءت دلالة اللون الأصفر على الذبول والفناء والموت للمشبه والمشبّه به أيضاً، فالإنسان يمر بأطوار حياته من الولادة إلى مرحلة الشباب والعنفوان والنضارة حتى يشيخ ويهرم ثم يموت.

اللون الأزرق:

قال تعالى: (يَوْمَ نُفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) طه 102.

يقول السعدي في تأويل هذه الآية: إذا نفخ في الصور وخرج الناس من قبورهم، فالمجرمون يحشرون زرقاً ألوانهم من الخوف والقلق والعطش⁽²⁾.

اللون الأحمر:

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ) فاطر 27.

لم يُذكر اللون الأحمر بلفظه الصريح إلا في هذه الآية، ولم يحمل أي دلالة نفسية موضوع

دراسة الباحث.

(1) تيسير الكريم الرحمن، انظر ص 841.

(2) تيسير الكريم الرحمن، انظر ص 513.

اللون في الشعر العربي

تناول الشعراء اللون في قصائدهم ووظفوه في جميع أغراضهم من مدح، ووصف، وغزل، وهجاء، ورثاء... وجاء هذا التوظيف لما يحمله اللون من دلالات رمزية تساهم بشكل كبير في صياغة الصورة الشعرية وإثراء المعنى الذي يريد الشاعر توصيله. " وإن اختيار الرمز في الصورة الشعرية لا ينفصل عادة عن سائر أفكار القصيدة، وإنما تظل أصداءه تتجاوب في أنحاء القصيدة مؤكدة شيئاً ما. فليس اختيار الرمز إذن تعسفياً أو اعتباطياً وإنما تدعو إليه الضرورة الشعرية"⁽¹⁾. وعندما نذكر توظيف اللون في الشعر بما يحمل من دلالات رمزية، فإننا لا نجد أشهر من بيت الشعر الذي يعد ملحمة لهذا الباب، وهو بيت الشاعر صفي الدين الحلي حينما قال يمدح قومه:

بَيْضُ صَنْفَدٍ نَا خَضِرٌ مَوْجُ نَا سَوْدٌ وَقَدْ نَا حُمْرٌ مَوَاضِينَا⁽²⁾.

فقد ألهم هذا البيت كثيرا من البلدان العربية في اختيار ألوان أعلامها، لما يحمله من دلالات الفخر والاعتزاز، فقد اختصر الشاعر كثيرا من المعاني التي أراد إسقاطها بذكره رموز اللون، فقوله: بيض صنائعنا، أي أن صنائعهم وأعمالهم، بيضاء نقية خالية من العيوب، وقوله: خضر مرابعنا، أي أن أرضهم غنية بالماء والخضرة وقوله: سود وقائعنا:، يقصد أن حربهم على عدوهم سوداء لما يقع عليهم من كثرة الخسائر، وأما قوله حمر " مواضينا"⁽³⁾: يعني أن سيوفهم حمراء من كثرة دماء قتلاهم من الأعداء. ولما كان لذكر اللون من هذه الأهمية، فلنا كثيرا ما نجد اللون بدلالاته المتنوعة لدى الشعراء.

(1) إسماعيل، عز الدين (د.ت). التفسير النفسي للأدب، ط4، مكتبة غريب، ص67.

(2) الحلي، صفي الدين (1962م). ديوانه، بيروت، دار صادر، ص21.

(3) السيف مضاء: قاطع. لسان العرب، مادة مضى.

اللون الأحمر:

يرى علماء النفس بعد تجاربهم على الألوان، أن اللون الأحمر يثير روح الهجوم والغزو والتأثر، ويخلق نوعاً من التوتر العضلي، كما أنه مثير للمخ، وله خواصه العدوانية، ويرتبط بالنشاط الجنسي والرغبات البدائية، كما أنه يبعث على البهجة والانشراح لكونه من الألوان الساخنة⁽¹⁾.

ارتبط اللون الأحمر بلون الدم، وقد تغنى الشعراء كثيراً بلونه الذي خضب سيوفهم من دماء أعدائهم، يقول عنتره:

هَزَمْتُ تَمِيمًا ثُمَّ جَدَلْتُ كَبْشَهُمْ وَعُدْتُ وَسِيفِي مِنْ دَمِ الْقَوْمِ أَحْمَرُ⁽²⁾.

يستحضر الشاعر هنا الكلمات الدالة على الفخر والاعتزاز بالنصر في قوله هزمت وجندلت، ثم يؤكد هذه الدلالة من خلال ذكره للون سيفه الأحمر كناية عن كثرة قتله وطعانه للاعداء.

ويقول الشاعر نفسه في هذا المعنى:

وَدِ مَلُؤُمٌ فَوْقَ الدُّرُوعِ تَخَضَّبَتْ مِنْهَا فَصَارَتْ كَالْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ⁽³⁾.

كما يقول جرير في هذا المعنى أيضاً:

هُمُ تَرَكُوا قَيْسًا وَعَمْرًا كِلَاهُمَا يَمْجُ نَجِيعًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَحْمَرًا⁽⁴⁾.

(1) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، انظر، ص 57-58.

(2) عنتره (1992م). ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، ص 79.

(3) المصدر السابق، ص 82.

(4) جرير (1986م). ديوانه، بيروت، دار صادر، ص 189.

" يَمُجُّ" (1) أي يلفظ، " والنجيع" (2) الدم، وقيل هو دم الجوف، وهنا يفتخر الشاعر بأن ممدوحه قد تركوا دماء جوف أعدائهم الحمراء تسيل، وفي قوله الدروع تخضبت كناية عن كثرة القتل ونزف الدم.

ومن أجل ارتباط اللون الأحمر بالدم، فقد ارتبط بالشدة واللين والقوة والضعف، يقول الشاعر الحادرة في وصف ساعده فيقول:

فَرَفَعْتُهُ وَهُوَ أَحْمَرُ فَاتَرٌ قَدْ بَانَ مَنِّي غَيْرِنَا لَمْ يَ قُطَّعْ (3).

" فاتر" (4): فتر الشيء: سكن بعد حدة ولان بعد شدة، ويقصد الشاعر بأن ساعده وهو في سبات عميق لان بسبب انحباس الدم فيه حتى سقط منه ولكنه لم يقطع، وأراد الشاعر من هذا الوصف إظهار مدى شجاعته عندما يتوسد ساعده وينام وحده في القفار الموحشة.

وتختلف دلالة اللون الأحمر باختلاف موطنه، فلقد نفر العرب من الحمرة في البشرة وهو نفسه الأشقر، فهو عندهم لون شؤم وعيب، وفي الصَّهْبَةِ صفة لليهود، ولذا نفر منها العرب وكرهوها بسبب كرههم لليهود لما كان يلحق بالعرب منهم من أذى، فلهذا أخذ الأحمر دلالة سوداوية في هذا الموطن المتعلق بالبشرة (5). يقول عبيد بن الأبرص:

(1) لسان العرب، مادة مجج.

(2) المصدر السابق، مادة نجع.

(3) الحادرة (د.ت). ديوانه، إملاء أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي، تحقيق ناصر الدين الأسد، مج15، ج2، مجلة

معهد المخطوطات العربية، ص324.

(4) لسان العرب مادة فتر.

(5) دلالات الألوان في شعر نزار قباني، انظر ص41-42.

جوانبُها تَغْشَى الْمَتَأَلَفَ تُشْرِفَتْ غَايَهُنَّ صُهْبٌ مِنْ يَهُودَ جُنُوحُ⁽¹⁾.

"صُهْبٌ"⁽²⁾ للصَّهْبِ بةٌ مختصةٌ بالشعر، وهي حُرَّةٌ يعلوها سواد.

ويؤكد هذا المعنى الشاعر ذو الرِّمَّة في قصيدة يهجو فيها رجلاً أصهب الشارب وأحمر اللحية، وإن هذه الصفات ليست من صفات العرب، وينسبها الشاعر إلى من أحلَّ أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، ويقصد إما اليهود أو النصارى، إذ يقول:

تَسْمَى امرؤُ القيسِ ابنَ سعدٍ إذا اعتَزَتْ وتَأبَى السَّبَالُ الصُّهْبُ والآنفُ الحُرُّ

ولكنَّما أصلُ امرئِ القيسِ مَعَشَرٌ يَحِلُّ لَهُمْ لَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَالْخَمْرُ⁽³⁾.

"السَّبَالَةُ"⁽⁴⁾: أي الشارب، والجمع السَّبال.

في حمرة العين دلالة على الغضب وعلى الشر، وكثير من الشعراء من أورد في شعره حمرة العيون في وصف الوحوش الضارية وما تحمله من دلالة على معاني الوحشية وأن خطورتها تظهر في إحمرار عينيها، يقول ذو الرِّمَّة:

هَاهُ نَّ مِنْ تَأْجٍ فَأَزْمَعَنْ وَرَدَهُ أَوْ الْأَصْهَبِيَّاتِلْعُ يُونُ السَّوْاحُ⁽⁵⁾.

"تَأْجٌ"⁽⁶⁾؛ الدُّوْاجُ: صياح الغنم.

(1) ابن الأبرص (1994م). عبيد، ديوانه، شرح أشرف أحمد عدرة، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، ص40.

(2) لسان العرب، مادة صُهْب.

(3) ذو الرِّمَّة (1995م). ديوانه شرح أحمد حسن بسج، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص106.

(4) لسان العرب، مادة سَبَل.

(5) ديوان ذو الرِّمَّة، ص54.

(6) لسان العرب، مادة تَأْج.

وإذا كان اللون الأحمر مكروهاً في العين، فإنه محبوب للنفس في خدود النساء، لما يحمله ويرمز له من الدلالة على الخجل والحياء، بالإضافة إلى الصحة والنضارة والحيوية، يقول الشاعر عنتره:

وردفله ثقل، وخصر مهفهف وخذ به ورد وساق خدلج⁽¹⁾.

الخدلجة⁽²⁾: المرأة الممتلئة الذراعين والساقين. "الورد"⁽³⁾: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء.

اللون الأصفر:

وهو لون ولاسيما الفاقع منه ينشط الذهن، فقد لوحظ أن النهار الذي تكون شمس غائمة، كثيراً ما ينتاب الناس فيه خمول ذهني ونفسي، ويصاب الجسد بنوع من الكسل. والأصفر كغيره من الألوان لا يحمل الوجه الواحد فهو كما يحمل دلالات الدفء والنشاط والحيوية والسطوع والنورانية، يحمل أيضاً دلالات مغايرة تماماً، فبسبب اقترابه من النار والاشتعال، أصبح معبراً عن الحقد والحسد والضغينة، والخيانة والغيرة، كما ارتبط الأصفر الداكن بالمرض والشحوب والجذب والقحط⁽⁴⁾.

إن الشاعر الجاهلي وهو يصور سلاحه بألوان ساطعة مشرقة، من الممكن أن نسميها الألوان الشمسية، إنما يستمد البركة والقوة من الشمس، والشاعر يستدعي كل هذه المعاني عندما يصف قوسه

(1) ديوان عنتره، ص41.

(2) لسان العرب، مادة خدلج.

(3) المصدر السابق، مادة ورد.

(4) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، انظر، ص95-96.

بالصفرة، وإنّ هذه الصفرة الشمسية، هي أداة القوى الإلهية ضد أعدائها من قوى الظلام والشر⁽¹⁾. يقول

ثعلبة بن عمرو العبدي:

وصفراءُ مِنْ نَبْعِ سَلاحِي أُعِدُّها وَأَبْيَضُ قَصَّالِ الضَّرِيبَةِ جَائِفُ⁽²⁾.

" قصال"⁽³⁾: بمعنى قطاع، " والجائفة"⁽⁴⁾: الطعنة التي تبلغ الجوف.

ومن دلالات اللون الأصفر النفسية دلالة الخوف، يقول الشاعر الممتحل الهذلي راثياً ابنه:

والتاركُ القَرْنَ مُصَدِّ قَرَأَنا مِلْهُ كَأَنَّ مِنْ عُقَارِ قَهْوَةٍ ثَمْلُ⁽⁵⁾.

يمدح الشاعر شجاعة ابنه في صورة تظهر لون عدوة " القرن"⁽⁶⁾ أي كفوّه بالشجاعة مصفراً من شدة

الخوف، ويشبه حال عدوه حينما ترتعد فرائسه بحال الثمل من شرب " القهوة"⁽⁷⁾ أي الخمر.

(1) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، انظر، ص112.

(2) شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي (2002م). جمع وتحقيق عبدالحميد المعيني، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع

الشعري، ص175.

(3) لسان العرب، مادة قصل.

(4) المصدر السابق، مادة جوف.

(5) ديوان الهذليين (1965م). القسم الثاني، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ص34.

(6) لسان العرب، مادة قرن.

(7) المصدر السابق، مادة قها.

وعلاقة اللون الأصفر وما يرمز له من الدلالة على الموت وقرب الأجل، يقول ابن الرومي في

رثاء ابنه:

أَلَحَّ عَلَيْهِ النَّزْفُ حَتَّى طَالَهُ إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِيِّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ⁽¹⁾.

" الجادي"(2): الجدِّيَّة: لون الوجه، يقال: اصفرت جبينه وجهه.

وفي دلالة اللون الأصفر وما يرمز له من دلالة الذبول والفناء والموت، يقول ابن الرمي وهو

يشبه الحياة الدنيا بالروضة الخضراء التي سرعان ما تصفر وتذبل:

أَيُّهَا رَوْضَةُ رَأَيْتَ يَدَ الْإِيْدِ مِمْ فِي عِبْقَرِيَّةٍ خَضِرَاءِ

أَوْ مَا أَبْصَرْتَ لَكَ الْخَيْرَ عَيْنَا كَ رَبَاهَا صُفْرَةَ الْأَرْجَاءِ

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ وَشَقَاءٌ لِلْمَعْشَرِ الْأَشْقِيَاءِ

نَحْنُ فِيهَا رُكْبٌ نَوْمٌ بِلَاداً فَكَأَنَّ قَدْ أَلْنَا إِلَى الْإِنْتِهَاءِ⁽³⁾.

وقد استوحى الشاعر معاني هذه الأبيات من قوله تعالى: (اَعْمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ

زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ صُفْرًا ثُمَّ

يَكُونُ حُطَامًا) الحديد20.

(1) ابن الرومي (2002م). ديوانه، شرح أحمد حسن بسج، ط3، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص400.

(2) لسان العرب، مادة جدا.

(3) ديوان ابن الرومي، ص65.

اللون الأبيض:

يرمز اللون الأبيض إلى النقاء والصفاء والطهارة والتفاؤل والأمل والخير، وكل معنى من المعاني المحببة للنفس، ولكنه يحمل أحياناً دلالات بغیضة للنفس، كالتطير والتشاؤم من بياض الشيب. كثيراً ما نجد الشعراء يطلقون لفظ اللون الأبيض في وصف المعشوقة، وذلك لما يحمله من دلالة على الجمال ونقاء البشرة وصفائها، يقول الأعشى:

مِنْ كُلِّ بَيضاءَ مَمَّ كَوْرٍ لَهَا بَشْرٌ ناصِحٌ كَالْبَيْنِ⁽¹⁾.

"ممكورة"⁽²⁾: امرأة ممكورة: مستديرة الساقين.

ويقول عبيد بن الأبرص في نفس المعنى السابق:

فِيهِنَّ هُنْدٌ الَّتِي هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا بَيضاءُ أَنْسَةً بِالْحُسْنِ مَوْسُومَةٍ⁽³⁾.

إذا قالت العرب فلان أبيض وفلانة بيضاء فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب⁽⁴⁾، ومن ذلك قول زهير يمدح رجلاً:

أَعْرُ أبيضُ فَيَاضُهُ فَكَّكَ عَنْ أَيْدِي الْعُنَاةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرِّبَا⁽⁵⁾.

(1) ديوان الأعشى، ص 17.

(2) لسان العرب، مادة مكر.

(3) ديوان ابن الأبرص، ص 110.

(4) انظر لسان العرب، مادة بياض.

(5) ابن أبي سلمى، زهير (1988م). ديوانه، شرح علي حسن فاعور، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 76.

ومن الدلالات المتعددة للون الأبيض دلالة الشرف والكرم في اليد البيضاء وهي اليد التي لا تمن وتعطي عن غير سؤال وذلك لشرفها في أنواع الحجاج والعطاء⁽¹⁾، يقول ابن الرومي:

لَسْتُ أَعْتَدُ لِي عَلَيْهِ يَدًا بِيضاءَ ضَاءَ غَيْرِ الْمَوَدَّةِ الْبِيضاءِ⁽²⁾.

ومن دلالات اللون الأبيض دلالة التشاؤم والتطير من بياض الشيب، ولابن الرومي أبيات يصف فيها الشيب وكأن بياضه ميتاً والخضاب الأسود لباس الحداد عليه، إذ يقول:

ليس يجدي الخضابُ شيئاً مِنَ النَّفْسِ عِسى سَوَى أَنَّهُ حَدَادُ كُنُيبٍ
فَاتَّخَذَهُ عَلَى الشَّبَابِ حَدَاداً وَابْكٍ فِيهِ بِعْبَرَةٍ وَنَحِيبٍ
وَفَتَاةٍ رَأَتْ خِضَابِي فَقَالَتْ عَزَّ دَاءُ الْمَشِيبِ طَبَّ الطَّبِيبِ
خِضَابُ الشَّيْبِ فِي بِيَاضٍ مُبِينٍ حِينَ يَبْدُو وَفِي سَوَادٍ مُرِيبٍ⁽³⁾.

شبه الشاعر الخضاب الأسود للشعر بثوب الحداد، ويقصد الشاعر هنا أن الشيب أدى إلى موت الشباب والنضارة والصحة وخضابه ليس إلي حداداً على تلك المعاني التي فقدها.

وفي بياض الشيب وما يرمز له من دلالة ضعف القوى وفقد الحيوية والنشاط، يقول ربعة بن

مقروم:

فَإِمَّا تَرِنِي قَدْ تَرَكْتُ لَجَاجَتِي وَأَصْبَحْتُ مَبِیضَ الْعَذَارِينَ أَشْيَبَا

(1) انظر لسان العرب، مادة ببيض.

(2) ديوان ابن الرومي، ص28.

(3) المصدر السابق، ص80.

وطاوعتُ أمرَ العاذلاتِ وقد أرى عليهنَّ أباءَ القرينِ مشغبا⁽¹⁾.

"العدارين"⁽²⁾: جانباً للحية.

ومن دوال اللون الأبيض المميّنة، استخدامه وصفا للعين عند فقد البصر، فقد لوحظ ارتباط فقد البصر بفقد سواد العين، وقد يكون للحزن أو الدمع أثر في ذلك⁽³⁾، يقول الحارث بن حلزة:

قبل ما اليوم بيضتْ يُون الـ ناس فيها تغيطُ واباءُ
وكانَ الفون تردّي بنا أر عَن جَوذاً ينجابُ عنه العلمُ⁽⁴⁾.

اللون الأسود:

يحمل اللون الأسود دلالة الهم والغم والحزن والتشاؤم واليأس والكآبة والموت، وكل معنى من المعاني البغيضة للنفس (عكس الأبيض تماماً)، ومن جانب آخر يرمز اللون الأسود للجمال والشباب، وخاصة في سواد الشعر.

وفي اللون الأسود وما يحمله من الدلالة على الموت، يقول طرفة بن العبد واصفاً الموت بأنه شراب أسود حالك، وقد شرب كأسه :

ذا جاء ما لا بُدَّ منه فمرحباً به حين يأتي لا كذاب ولا علل

(1) الضبي، ربيعة بن مقروم (1999م). ديوانه، تحقيق تماضر عبدالقادر فياض حرفوش، ط1، بيروت، دار صادر، ص23.

(2) لسان العرب، مادة عذر.

(3) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، انظر، ص160-161.

(4) ابن حلزة، الحارث (1991م). ديوانه، تحقيق أملي بدیع يعقوب، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، ص25.

أَلَا إِنِّي شَرِيتُ أَسْوَدَ حَالِكاً أَلَا بَجَلِي مِنَ الشَّوَابِ أَلَا بَجَلٌ⁽¹⁾.

"بجل"⁽²⁾: بمعنى حُصْب.

ومن دلالات اللون الأسود دلالة الخوف من الظلام الذي يرمز للمجهول، يقول النابغة الذبياني:

إِمَّا عُصِيتُ فَإِنِّي غَيْرُ مُنْقَلِتٍ مِنِّي اللَّصَابُ فَجَنَّبَا حَرَّ النَّارِ

أَوْ أَضْخُ الْبَيْتِ فِي سُودَاءِ مُظْلَمَةٍ تُقَيِّدُ الْعَيْرَ لَا يَسْرِي بِهَا السَّارِي⁽³⁾.

"اللَّصْبُ"⁽⁴⁾: مضيق الوادي، وهنا يهدد الشاعر قومه بأنهم إذا عصوه ولم يطيعوه بالأمر الذي أراد سوف يذهب إلى قفار سوداء مظلمة وموحشة لا يمر بها أحد، وحطى الشاعر هنا دلالة اللون الأسود في قوله: سوداء مظلمة على الخوف والوحشة من المجهول.

ومن الدلالات النفسية للون الأسود دلالة التشاؤم، وكثيراً ما استخدم الغراب وسواده رمزاً لهذا التشاؤم، وفي ذلك يقول النابغة الذبياني:

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحِلَتْنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الْغُدَافُ الْأَسْوَدَ

لَا مَرْحَبًا بِغَدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحَبَّةِ فِي غَدٍ⁽⁵⁾.

(1) ابن العبد، طرفة (2002م). شرح مهدي محمد ناصر الدين، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، ص62.

(2) لسان العرب، مادة بجل.

(3) الذبياني، النابغة (1996م). ديوانه، شرح عباس عبدالساتر، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، ص124.

(4) لسان العرب، مادة لصب.

(5) ديوان النابغة الذبياني، ص105.

"البوارح"⁽¹⁾ جمع مفردة البارح: وهو ما مر من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك، والعرب تنطير به. "الغُ داف"⁽²⁾: الغُ راب.

ومن الدلالات النفسية المتعددة للون الأسود دلالة العداوة والبغضاء للأعداء سود الأكباد، يقول الأعشى:

فِيلاً دَنِيَّةً سَتَعُودُ شَزْرًا وَعَمداً دَارَ غَيْرِكَ مَا تُرِيدُ
فَمَا أُجْشِمَتْ مِنْ إِيَّانِ قَوْمٍ هُمْ الْأَعْدَاءُ فَالْأَكْبَادُ سَوْدُ⁽³⁾.

"شزراً"⁽⁴⁾ أي أخذاً إلى غير الطريق "أجشمت"⁽⁵⁾: تجشمت الأمر وتجسمته إذا حملت نفسك عليه.

وللشاعر عنتره، وهو ينفي دلالة العيب في اللون الأسود، ويعدّه مزية لاقتترانه بلون المسك، يقول:

لَنْ نَأْكُ أَسْوَدًا فَالْمَسْكُ لَوْنِي وَمَا لِي سَوَادٍ جِلْدِي مِنْ نَوَاءٍ
وَلَكِنْ تَبَعُ الدُّفْحِشَاءُ عَنِّي كَبَعِدِ الْأَرْضِ عَنِ جَوْ السَّمَاءِ⁽⁶⁾.

(1) لسان العرب، مادة برج.

(2) المصدر السابق، مادة غدف.

(3) الأعشى (د.ت). ديوانه، تحقيق محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، ص323.

(4) لسان العرب، مادة شزر.

(5) المصدر السابق، مادة جشم.

(6) ديوان عنتره، ص22.

ومن دلالات اللون الأسود المحببة للنفس، دلالة جمال المرأة في سواد الشعر، يقول امرؤ

القيس:

وَفَرَعٍ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَفَتُوا النَخْلَةَ الْمُتَعَثِّلَ

غَدَائِهِ مُسْتَشْرِزَاتٍ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْمَدَارِي فِي مَثْنَى وَمُرْسَلٍ⁽¹⁾.

" أثيث" (2): شعر أثيث: غزير طويل. " القفو" (3): العذق بما فيه من الرطب. " المُتَعَثِّل" (4): شماريخ العذكال : أغصانه. " الغدائر" (5): الذوائب.

ومن الدلالات المحببة للنفس أيضاً للون الأسود، دلالة الشباب والحيوية في الشعر الأسود،

يقول عبيد بن الأبرص:

دَرُّ دُرِّ الشَّبَابِ وَالشَّعْرِ الْأَسَدِ حَوْدٍ وَالرَّائِكَاتِ تَحْتَ الرَّحَالِ⁽⁶⁾.

" الراتكات" (7): الراتكة من النوق التي تمشي وكأن برجليها قيداً وتضرب بيديها. " الرحال" (8): الرحالة: سرجٌ عمل من جلود.

(1) امرؤ القيس، ديوانه (2004م). تحقيق حسن السندوبي، ط5، بيروت، دار الكتب العلمية، ص115.

(2) لسان العرب، مادة أثث.

(3) المصدر السابق، مادة قنا.

(4) المصدر السابق، مادة عثكل.

(5) المصدر السابق، مادة غدر.

(6) ديوان ابن الأبرص، ص97.

(7) لسان العرب، مادة رتث.

(8) المصدر السابق، مادة سرج.

اللون الأخضر:

للون الأخضر دلالات نفسية متعددة منها دلالة الحياة والنضارة والخصوبة والنماء والشباب والغيث.

والأخضر لون محبوب للنفس لاقتترانه بهذه الدلالات خاصةً عند العربي الذي يحيا في هذه الصحراء القاسية ذات اللون الأصفر الرتيب الساخن، حيث الجذب والقحط، وفي بيئة كهذه فإن أجمل ما تقع عينه عليه بقعة خضراء حول عين ماء، يعدها العربي غيثا له ولحصانه وناقته من الهلاك في الصحراء الساخنة⁽¹⁾، يقول امرؤ القيس:

وغيث من الوسميِّ حو تلاءه تبطنته بشيظم صلتان⁽²⁾.

" الشَّيْظُمُ والشَّيْظُمِيُّ"⁽³⁾: الطويل الجسيم الفتى من الناس والإبل والخيل. " الصَّلَاتَانُ"⁽⁴⁾ من الرجال والحر: الشديد الصلب، والجمع صلتان.

ويقول سلامة بن جندل في وصف فرسه:

يُ حَاضِرُ الْجُونِ مُخْضَرًا جَاهِلُهَا وَتَسْبِقُ الْإِلْفَ عَفْوًا غَيْرَ مَضْرُوبٍ⁽⁵⁾.

(1) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، انظر، ص234.

(2) ديوان امرؤ القيس، ص166.

(3) لسان العرب، مادة شظم.

(4) المصدر السابق، مادة صلت.

(5) ابن جندل، سلامة (1987م). ديوانه، تحقيق فخر الدين قباوة، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، ص107.

" الجون" ⁽¹⁾: حمار الوحش. " جحافل" ⁽²⁾ الخيل: أفواهاها. " الإلف" ⁽³⁾: الأليف.

وواضح من وصف حالة الجون (الحمر الوحشية) باخضرار الجحافل، إنَّ هذا الخصب من المفروض أن يهبها القوة والنشاط، فلا تسبق، ولكن فرسه القوية تسبقها، وهكذا تصبح الحمر الوحشية مخضرة الجحافل نموذجاً عربياً فريداً للسرعة والنشاط والقوة ⁽⁴⁾.

وحول هذا المعنى يقول زهير بن أبي سلمى:

فَقَالَ شَيْلَهُ رَاتِعَاتٌ بِقْفَرَةٍ بِمَسْتَأْسِدِ الْقُرَيَّانِ حَوْ مَسَائِلُهُ

ثَلَاثُ كَأَقْوَاسِ السَّرَّاءِ وَمِسْحَلٌ قَدْ اخْضَرَ مِنْ لَسِّ الْغَمِيرِ جَحَافُهُ ⁽⁵⁾.

"استأسد النبت" ⁽⁶⁾: طال وعظم، " المسحل" ⁽⁷⁾: الحمار الوحشي، " اللأس" ⁽⁸⁾: الأكل، " الغمير" ⁽⁹⁾: هو نبت البقل عن المطر بعد اليأس، " جحافل" ⁽¹⁰⁾: قيل: الجحفة من الخيل والحمر والبغال بمنزلة الشفة من الإنسان.

(1) لسان العرب، مادة جون.

(2) المصدر السابق، مادة جحفل.

(3) المصدر السابق، مادة ألف.

(4) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، انظر، ص235.

(5) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص89.

(6) لسان العرب، مادة أسد.

(7) المصدر السابق، مادة سحل.

(8) المصدر السابق، مادة لسس.

(9) المصدر السابق، مادة غمر.

(10) المصدر السابق، مادة جحفل.

اقترن اللون الأخضر بخضرة النبات التي تدلُّ على الحياة والخصوبة والنماء والنضارة، وكثر لدى الشعراء ذكر اللون الأخضر وسقاطه على تلك المعاني المحببة للنفس، وفي ذلك يقول ابن الرومي:

وغيثٌ أظَلَّ الأرضَ شرقاً ومغرباً فقيادُ - هُ خُضِرَ النباتُ أَثائِثُهُ⁽¹⁾.

" أَثائِثُهُ"⁽²⁾، يقال: أَثَّ النباتُ يَنْثُ أَثائِثٌ أي كثر والتفَّ.

ويقول الأعشى في الرياض الخضراء وما تحمله من معاني الحيوية والنضارة والخصوبة والنماء:

ما روضةٌ من رياضِ الحزنِ مُعشِبةٌ خضراءُ جادَ عليها مُسبِلٌ هطلُ

يضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ مؤرَّرٌ بعميمِ النَّبتِ مُكتهلُ⁽³⁾.

" مسبل"⁽⁴⁾: قيل المطرُ المُسبِلُ. وقد أسبلت السماء، وأسبل دمعهُ، وأسبل المطرُ والدمعُ إذا هطل. سحاب " هطل"⁽⁵⁾ ومطر هطل أي كثيرالهَ طَلان. " مكتهل"⁽⁶⁾: اكتهل النبتُ: بمعنى طال وانتهى منتهاه.

(1) ديوان ابن الرومي، ص 283.

(2) لسان العرب، مادة أثث.

(3) ديوان الأعشى، ص 57.

(4) لسان العرب، مادة سبل.

(5) المصدر السابق، مادة هطل.

(6) المصدر السابق، مادة كهل.

اللون الأزرق

" والأزرق هو لون السماء الصافية، ومياه البحر، وهو لون الأمل والتجدد والدوام والصفاء، وهو يقلل من الهياج والثورة، ويساعد على التركيز والاستغراق، والغامق منه لقربه من الظلام والسواد والليل يدل على الخمول والكسل والتضرع"⁽¹⁾.

من الدلالات النفسية التي يحملها اللون الأزرق دلالة اللؤم، وفي ذلك يقول الشاعر سويد اليشكري:

لَقَدْ زَرَقْتَ عَيْنَاكَ يَا ابْنَ مُكْعَبٍ كَمَا كُلُّ ضَبِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ أَزْرَقُ⁽²⁾.

إنَّ الشاعر هنا جمع كل معاني العداوة في مستهل بيته، بهذا الفعل (زرقت)، ثم عَقَّ هذه المعاني بأن جعلها صفة أساسية لكل أفراد قبيلته (كل ضبيٍّ)، والزرقه هنا تتعدى مفهوم اللؤم الذي يبدو أنه المراد من هذه الصفة في البيت إلى مفهوم التشاؤم المؤسس على معتقد ميثولوجي (أسطوري)، فتصبح الزرقه هنا لعنة تخرج صاحبها عن الأعراف الدينية المتوارثة⁽³⁾.

أكثر دلالة أسقطها الشعراء للون الأزرق في أشعارهم هي دلالة الصفاء والنقاء في وصف الماء والسماء، يقول ابن أبي سلمى:

فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَلُهُ وَضَعَنَ عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ⁽⁴⁾.

(1) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 239.

(2) اليشكري، سويد بن أبي كاهل (2007م). ديوانه، جمع وتحقيق شاكر العاشور، ط1، دمشق، دار الينابيع، ص 57.

(3) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، انظر، ص 251.

(4) ديوان ابن أبي سلمى، ص 105.

ماءٌ جُمٌ⁽¹⁾: كثير الماء: وجمعه جمام. والجموم البئر الكثيرة الماء. " المُتَخِيمُ"⁽²⁾: خيمت الرائحة الطيبة بالمكان والثوب: أقامت وعبقت فيه.

وجاءت دلالة اللون الأزرق عند الشاعر عمر بن أبي ربيعة على السحر إذ يقول:

سَحَرَتْنِي الزُّرْقَاءُ مِنْ مَارُونِ إِنَّمَا السَّحَرُ عِنْدَ زُرْقِ الْعُيُونِ⁽³⁾.

(1) لسان العرب، مادة جمم.

(2) المصدر السابق، مادة خيم.

(3) ابن أبي ربيعة، عمر (1996م). ديوانه، قدمه فايز محمد، ط2، بيروت، دار الكتاب العرب، ص383.

اللون والدلالة الدينية

اتفقت جميع الأديان على أنّ الألوان رمز للدلالة على معتقداتها السائدة، وذلك لما تحمله الألوان من دلالات نفسية ترمز للخير والشر في مختلف أشكاله، وكل دين يختلف عن الآخر في استخدام اللون ورمزية قداسته، وقد نقل الباحث دلالات الألوان الدينية لاستقراء أصل هذه الدلالة، والتي غالباً ما تكون مقترنة بدلالاتها الأصلية المستوحاة من الطبيعة، ومنها:

اللون الأصفر:

لون مقدس ليس فقط في الصين والهند، ولكن كذلك في المسيحية الأوربية. واستخدمت الكنيسة اللون الأصفر في اللوحات المقدسة في شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية. ولارتباط اللون الأصفر بالشمس والضوء استخدمه قدماء المصريين رمزاً لإله الشمس رع⁽¹⁾. ويرى الباحث أنّ أصل قداسة اللون الأصفر تعود لاقتترانه بصفرة الشمس، وذلك لما ترمز له الشمس من القوة، بالإضافة إلى ما تحدث في الأرض من نور وإشراق، وهذ الصفات المحببة للنفس جعلت الإنسان في العصور البائدة يربط صفة الشمس بصفات الآلهة، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك، فبعضهم من قام بعبادتها، لذلك كان اللون الأصفر عند هؤلاء يرمز للقداسة.

اللون الأبيض:

في العصور القديمة كان اللون الأبيض مقدساً ومكرساً لإله الرومان Jupiter ، وكان يضحى له بحيوانات بيضاء. لأن اللون الأبيض يرمز للصفاء والنقاوة فإن المسيح عادة من يمثل في ثوب

(1) اللون واللغة، ص163.

أبيض⁽¹⁾. وفي الدين الإسلامي يقال في الدعاء: اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. فحملت الدلالة النفسية للون الأبيض دلالة النقاء والصفاء والطهارة، وذلك لارتباط اللون الأبيض بالنهار، وضوء القمر الذي يضيء عتمة الليل ويجلي سواده.

اللون الأخضر:

في العقيدة يمثل الأخضر الإخلاص والخلود والتأمل الروحي. ويسمى لون الكاثوليك المفضل. ويستعمل في عيد الفصح ليرمز إلى البعث⁽²⁾. وترتبط دلالة اللون الأخضر دائماً بلون النبات، لذلك هو لون محبوب للنفس لما يحمل من دلالات النضارة والحياة والشباب والخير والنماء، وكثيراً ما نجد قباب المساجد باللون الأخضر، وثياب بعض علماء الدين وعمائمهم غالباً ما تكون خضراء.

اللون الأحمر:

يرمز الأحمر في الديانات الغربية إلى الاستشهاد في سبيل مبدأ أو دين. وهو رمز لجحيم في كثير من الديانات حيث توصف جهنم بأنها حمراء⁽³⁾. وهذا يؤكد ما ذهب إليه الباحث بأن الدلالات الدينية مقترنة بدلالة اللون الأصلية والمستمدة من الطبيعة، فقد جاءت دلالاته التي ترمز للاستشهاد في سبيل الدين مقترنة بلون الدم الأحمر، كما جاءت دلالاته التي ترمز لنار جهنم مقترنة بلون النار الحمراء.

(1) اللون واللغة، ص164.

(2) المصدر السابق، ص164.

(3) المصدر السابق، ص164.

اللون الأزرق:

يمثل اللون الأزرق مكانة خاصة في العبرية، فهو لون الرب يهوه (lord jeborah)، وهو أحد الألوان المقدسة عند اليهود⁽¹⁾. ويعتقد الباحث من أن قداسة اللون الأزرق راجعة لاقتربها بزرقة الماء.

اللون والخرافة

وغالباً ما ترجع الدلالة الخرافية أو الأسطورية للون إلى عصور ما قبل التاريخ، حينما كان الإنسان البدائي يحاول فك الرموز المتعلقة بأبجديات الكون التي سببت تحيره وأثارت مخاوفه، فصار يفسر الظواهر الطبيعية من براكين وزلازل، وضوء البرق وصوت الرعد، وغيرها من الظواهر بأنها ناتجة من قوة خفية، وأصبح ينسج حولها أساطير خرافية تعلل وتفسر هذه الظواهر الطبيعية.

وقد قام الباحث بنقل جملة من الدلالات الأسطورية للون تهدف إلى تبيان أصل الدلالة التي غالباً ما تكون مقترنة بالدلالة النفسية المستمدة من أصلها في الطبيعة.

اعتقد الهنود في وجود ارتباطات بين الطبقة الاجتماعية واللون. كما تقول أسطورتهم:

أ- من فم الخالق جاء البراهمة لونهم أبيض وهؤلاء هم رجال الدين.

ب- ومن ذراعيه جاءت طبقة الجنود الذين لونهم أحمر.

ج- ومن فخذيه جاءت طبقة التجار وهؤلاء لونهم أصفر.

(1) اللون واللغة، انظر، ص164.

د- ومن قدمه جاءت طبقة الخدم وهؤلاء لونهم أسود.⁽¹⁾

وتؤكد هذه الأسطورة ما ذهب إليه الباحث من اقتران الدلالة الأسطورية بدلالة اللون النفسية المستمدة من الطبيعة، فاللون الأبيض كان لون رجال الدين وهم غالباً ما يتصفون بصفات النقاء والصفاء والطهارة، وهذه الصفات اشتهرت بها دلالة اللون الأبيض لاقتربانها كما أسلفنا بالنهار، وضوء القمر الذي يضيء عتمة الليل ويجلي سواده، واللون الأحمر للجنود، وذلك بسبب ارتباط الجنود بلون الدم الأحمر من جراء الحروب والقتل، وجاء اللون الأصفر للتجار، وربما تعود هذه الدلالة لاقتربانها بصفرة الشمس، وكان اللون الأسود والذي يحمل أغلب الدلالات السوداوية؛ للخدم.

ومن الدلالات الأسطورية المتعلقة باللون التي تحمل في طياتها دلالات نفسية تتبع من أصلها في الطبيعة أيضاً:

1. بعض الشعوب استخدم أحجاراً معينة لكشف الكذب، إذا كان يعتقد في تحولها في يد الشاهد الكاذب إلى اللون الأسود.

2. استخدمت الألوان في السحر. فكان الساحر يكتب سحره بأحبار ملونة. وعادة ما كان يغلب عليها اللون الأحمر.

3. لأن الأمراض والأوبئة تأتي بصورة غير طبيعية وبطريقة مجهولة فإن الألوان المستخدمة لإزالتها يجب أن تكون كذلك غير طبيعية. وبعض الأحجار الكريمة الخضراء تتغلب على أمراض العين. وبعض الأحجار الكريمة الصفراء مفيدة لليرقان وأمراض الكبد.

(1) اللغة واللون، ص161

4. الألوان المفضلة في التعاويذ هي الأحمر - الأزرق - الأصفر - الأخضر - الأبيض. ولارتباط

اللونين الأزرق والبنفسجي بالطهارة والإيمان كانت تعلق في رقبة الصبي حجارة زرقاء وبنفسجية

ليس فقط لتأكيد ارتباطه بهاتين الصفتين، ولكن كذلك لتجعل الصبي مطيعاً لوالديه.

5. وجد اعتقاد أن الحجر الأصفر يجلب السعادة والغنى، وأن الحجر الأخضر يجلب الخصب

والنماء، وأن الحجر الأبيض يحمي من عين الحسود.

6. استخدم اليابانيون اللون الأحمر لطرد الكابوس. وكانت هناك خواتم حمراء يلبسها الجنود في

مصر القديمة حين يقابلون أعداءهم حتى لا يجرحوا. وإذا جرحوا لا ينزفون.

7. في أمريكا منذ مدة طويلة كان اللون الأزرق رمزاً للجنوب (وقد أحدث الفجر). والأبيض

للشرق (وقد أحدث النهار). والأصفر للغرب (وقد أحدث الشفق) والأسود للشمال (وقد

أحدث الظلام وغطى به العالم)، ورمز الهنود الأمريكيون للعالم السفلي باللون الأسود، وللعالم

العلوي بألوان كثيرة⁽¹⁾.

فقد اتفقت الدلالة الأسطورية للون إلى حد كبير مع الدلالات التي اشتهرت بها دلالة

اللون الرمزية، فاللون الأسود جاء هنا بدلالة سوء جِراء الكذب، ودلالة الظلام المقتترنة بسواد

الليل وعتمته، واللون الأبيض دلّ على النور المقتترن ببياض النهار ووضوحه، ودلّ أيضاً على

الصفاء والنقاء والطهارة والسلام، وجاءت دلالة اللون الأحمر ترمز للون الدم، بالإضافة إلى

مسّ الجن، وذلك لارتباط الجن بلون النار، كما جاءت دلالة اللون الأصفر على الغنى لاقتترانها

بلون الشمس، فضلا عن الدلالة على المرض، وجاء اللون الأخضر بدلالة الخصب والنماء،

ودلّ اللون الأزرق على الطهارة.

(1) اللغة واللون، انظر ص 162 - 163.

دلالة اللون في تفسير الأحلام

اعتمد مفسرو الأحلام على مادة اللون في تفسير الأحلام والرؤى، وإن كانت أغلب هذه التفاسير لم تخرج عن الإطار المعرفي لدلالات الألوان في المعجم اللغوي عند العرب، مع ربطه بالدلالة الدينية في بعض الأحيان.

وقد نقل الباحث دلالة اللون الرمزية عند مفسري الأحلام لملاحظة دلالاتها وتبيان مدى تشابه هذه الدلالات بما اشتهرت به.

اللون الأبيض:

قال ابن سيرين:

البياض: دلّ على البهاء والجمال، والتوبة، والصلاح. وأما بياض اللون، فمن رأى أنّ وجهه أشدّ بياضاً مما كان؛ حسن دينه، واستقام على الإيمان. فإن رأى أنّ لون خده أبيض؛ فإنه ينال عزاً وكرماً.

قال عبدالغني النابلسي:

بياض اللون: من رأى وجهه في المنام أشدّ بياضاً مما كان؛ فإنه مرض⁽¹⁾.

فقد اتفقت دلالة اللون الأبيض بين دلالاته التي اشتهر بها، وعند مفسري الأحلام في الدلالة على البهاء والجمال والعز والكرم، وقد اختلف في الدلالة على التوبة والصلاح والإيمان والمرض.

(1) ابن سيرين، محمد، والنابلسي، عبدالغني (2008م). معجم تفسير الأحلام، إعداد باسل البريدي، دمشق - بيروت، مطبعة الإمامة،

اللون الأحمر:

حمرة اللون: في المنام وجاهة. فمن رأى أنّ وجهه أحمر براق، فإنّه يكون وجيهاً في الدنيا معروفاً بالخير. وقيل: إن كان مع الحمرة بياض، نال صاحبه عزاً وفرحاً. ومن رأى أنّ جسمه ووجهه قد احمر، فإنّه يكون طويل الهم بعيد الفوز. وحمرة اللون تدل على عافية المريض وقُدوم المسافر⁽¹⁾.

كما اتفقت دلالة اللون الأحمر بما اشتهر به وبين دلالاته عند مفسري الأحلام على دلالة العافية والصحة، واختلف بالدلالة على الوجاهة والعز والفرح والهم.

اللون الأخضر:

قال ابن سيرين:

الخضرة: دالة على الشهادة ودخول الجنة، والأعمال الصالحة، وربما دلت على الضرّ الموجب للأجر.

قال عبدالغني النابلسي:

خضرة الثياب وغيرها في المنام: فالثياب الخضراء جيدة في الدين؛ لأنها لباس أهل الجنة، فمن رأى ثياباً خضراً دلّ على دين وقوة وزيادة عبادة في الأحياء، وحسن حال الميت عند الله تعالى، ولبس الخضراء للحي: يدلّ على إصابة ميراث، وللميت أنّه خرج من الدنيا شهيداً، وكلّ ثوب ينسب إلى

(1) معجم تفسير الأحلام، انظر ص324.

الخضرة، فإنّ لونه لا ينفع ولا يضر. وقيل: الخضرة في " الخز"⁽¹⁾ لا يقيد بها رجل ولا امرأة، ومن رأى أنّ آفة أصابت حرثه، فهو سلامة حرثه وأمنه ممّا يخاف عليه⁽²⁾.

لم تخرج الدلالة النفسية للون الأخضر عند مفسري الأحلام عن الدلالة التي اشتهر بها وهي الخير والخصب والنماء، بالإضافة إلى اتفاقه مع دلالاته الدينية، وهي دلالة لباس أهل الجنة والدلالة على الإيمان.

اللون الأزرق:

زرقة اللون في المنام: تدل على الهم والغم والخصومة والمرض⁽³⁾.

اختلفت الدلالة النفسية للون الأزرق عند مفسري الأحلام عما اشتهرت به، فقد جاءت هنا تحمل دلالة الهم والغم والمرض.

اللون الأسود:

قال ابن سيرين:

السّواد: من ألوان الثياب، دال على السّودد، والمال، أو على السوء.

(1) الخز: معروف من الثياب مشتق منه، لسان العرب، مادة خرز.

(2) معجم تفسير الأحلام، انظر ص 354-355.

(3) المصدر السابق، انظر ص 484.

قال عبدالغني النابلسي:

لبس السّواد لمن اعتاد لبسه سوّدّد ولغير المعتاد هم وحزن. وكان ابن سيرين رحمه الله، يجعل كل سواد مالاً. ومن رأى في منامه أنّه تزوج امرأة سوداء قصيرة، كان سوادها كثرة مالها، وقصرها قصر عمرها. ومن رأى أنّ أحداً أهدى إليه عبداً نوبياً أسود؛ يهدى إليه جوالق فحم. والسّواد إذا كان خالصاً مصقولاً بلا بياض فهو عز ورفعة من سلطان. وقيل: الأسود لا تحمد رؤياه، لما في لفظه من ذكر السوء. والسّواد في البدن: سوّدّد، وربما أنّ الرائي يقع في إثم كبير، أو يدعى عليه، أو يعق أحد أبويه، ورّها يبتلي بتشقيق اليدين والرجلين، ورّها دلّ على كثرة طربه، فإنّ اسودّ وجهه دون بدنه: دلّ على الكذب، والرّثة من الدين. فإنّ ابيضّ الأسود في المنام: دلّ على الثناء الجميل، والإقلاع عن الذنوب، والإيمان بعد الكفر. فإنّ ابيضّت يداه دون بدنه: دلّ على ظهور الكرامات لذوي الصلاح، والانتصار على الأعداء، والقرب من الأكابر، والتراسل على ألسنة الملوك، وعلو الشأن. ورّها دلّ السّواد: على غلبة السّواد في البدن الأبيض، والبياض على البرص في البدن الأسود⁽¹⁾.

واتفقت الدلالة النفسية للون الأسود بما اشتهر به وبين دلالاته عند مفسري الأحلام على دلالة

الحزن والسوء، بالإضافة إلى الدلالة الدينية من ذنب وكذب وكفر.

اللون الأصفر:

قال ابن سيرين:

الصفرة: دالة على الأسقام، والأفزع، والهموم.

(1) معجم تفسير الأحلام، انظر ص 577-578.

قال عبدالغني النابلسي:

صفرة اللون: من رأى في المنام أن لون وجهه أصفر ناله مرض، وقيل: من رأى أن وجهه أصفر فاقع فإنه يكون وجيهاً في الآخرة ويكون من المقربين، وصفرة الوجه في المنام تدلّ على الدّل والحسد، وقد تكون الصفرة في الوجه دليلاً على النفاق، وقيل: صفرة الوجه تدلّ على العبادة والتهجّد بالليل، وربما دلّت الصفرة على العشق والمحبة، وصفرة اللون تدلّ على الخشوع والمراقبة، وربما دلّ الاصفرار على الخوف، ومن رأى وجهه أبيض وجسده أصفر فإنّ علانيته خير من سريرته، وإن كان أبيض ووجهه أصفر فإنّ سريرته خير من علانيته، واصفرار الوجه والجسد معاً يدلّان على المرض، وصفرة الوجه دليل على حزن يصيب صاحب الرؤيا، والصفرة في الثياب كلّها مرض وضعف لصاحب الثوب إلا في ثوب الخزّ أو حرير أو جبة ديباج فإنه يكون فساد دين⁽¹⁾.

وقد اتفقت الدلالة النفسية للون الأصفر التي اشتهر بها، وبين دلالاته عند مفسري الأحلام على

المرض والحسد والتعب والعشق والخوف والهم والحزن.

(1) معجم تفسير الأحلام، انظر ص682.

الفصل الثالث

الدلالة النفسية للأون في شعر الطبيعة في الأندلس

تعدّ أرض الأندلس من أفضل بقاع العالم التي تتميز بجمال الطبيعة، ولقد سكن المسلمون في أخصب أراضي الأندلس، نمت حولهم أشجار الكروم والتّين والزيتون والرمّان والبرتقال والنارج وغيرها، وفواكهها تتصل طول الزّمان. وفي وسط الأندلس هضبة تسمى (ميسيتا) وتشغل مساحة ليست بالقليلة وتتحدّر هذه الهضبة غربا مكونة السهل الغربي الخصيب أمّا بقية جهات الهضبة فتحيط بها جبال تفصل بينها أودية خصبة تمتد حتى الشواطئ، منها جبل الزهرة وجبل الشارات. وأهم الأنهار الشرقية نهر (أبره) ذو المياه الغزيرة الصافية، ونهر الوادي الأبيض الذي يسميه العرب نهر (مرسية) ، ومن الجنوب نهر (شقر) الذي جعل من الجزيرة الواقعة عليه جنة ورافة، وأمّا الأنهار الغربية فأهمها الوادي الكبير. وحيوان الأندلس كثير: أهلي وبري، ومن أجود الخيل، والبقر، والغنم، والغزال، والأيل، وحمار الوحش وبقره، وفيها كثير من الطيور والجوارح وحيوان البحر⁽¹⁾.

ف قد كانت بيئة الأندلس، أنقى هواءً وأعذب ماءً و غنيّة بجميع مظاهر الطبيعة المحببة للنظر والسّارة لنفوس البشر، والملهمة للشعراء في قرض الشعر. ولقد اشتهر شعراء الأندلس باسم شعراء الطبيعة، ومن أهم هؤلاء الشعراء، الشاعر ابن خفاجة الذي لقّب بشاعر الطبيعة، لبراعته بوصفها وكثّاره من التّعني بها، ومن أشهر ما قال في وصف الطبيعة، قوله:

يا أهل أندلسٍ لله درُّكمُ ملءٌ وظلٌّ وأنهارٌ وأشجارُ

ما جنةُ الخلدِ إلّا في ديارِكمُ ولـ و تخيّرتُ هذا كُنتُ أختارُ

(1) شلبي، سعد إسماعيل (د.ت). بيئة الأندلس وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، مصر، دار النهضة، انظر ص22- 23.

لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجّة النّار⁽¹⁾.

الشعر لون من التعبير يخضع للظروف والمناسبات، لأنه ترجمة صادقة للعواطف التي تتأثر بمناظرها ومرائها، وللبينة دخل كبير في تحريك تلك العواطف واستثارتها. ولذلك فنحن لا ننتظر من ساكن الصحراء مثلاً أن يصف الأنهار والجداول، والأزهار والرياحين، ومن تمتاز ببينته ببياض البشرة، وزرقة العيون، وصفرة الشعر يختلف عن شاعر تتميز طبيعته بسواد الشعر وحوار العين وسمرة البشرة، لذلك نجد جريراً يقول:

إنّالْعُيُونُ لَتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
يَصْدَعَنَّ ذَا اللَّأْبِ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا⁽²⁾.

ونسلم بشاراً يقول:

وللبخيل على أمواله عِلٌّ زُرْقُ الْعُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سَوْدُ⁽³⁾.

فجرير يمدح العيون بالحوار، وهو شدة السواد في شدة البياض وبشار يذم العيون الزرقاء، ولكننا في الأندلس نجد الشعر الأصفر يستبدل بالأسود، والعيون السوداء تصبح زرقاء ويصبح المدح بصفرة الشعر وزرقة العين إلخ⁽⁴⁾.

(1) ابن خفاجة (2006م). ديوانه تحقيق عبدالله سنده، ط1، بيروت، دار المعرفة، ص133.

(2) ديوان جرير، ص492.

(3) ابن برد، بشار (د.ت). ديوانه، جمع وترتيب محمد بدر الدين العلوي، بيروت، دار الثقافة، ص74.

(4) قضايا أندلسية، انظر ص86-87.

إن للألوان في الشعر دلالات مختلفة، وإن شعراء الأندلس وظفوها في شعر الطبيعة بجميع دلالاتها، وما يهْمُنَا هنا هو الدلالة النفسية للون من خلال شعر الطبيعة، وعبر عنه الشعراء وذكره بدلالاته النفسية من حزن وفرح وموت وحياة، ومرض ونضارة، وخجل إلخ. ولقد اعتمد الباحث في دراسته على الألوان الأساسية وهي الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر، بالإضافة إلى اللون الأزرق، وقد قسم الباحث هذا الفصل إلى مبحثين، المبحث الأول: الأبيات التي ذكر بها لون واحد، وأمّا المبحث الثاني: الأبيات التي ذكر بها أكثر من لون.

المبحث الأول: الأبيات التي ذكر بها لون واحد

لقد اعتمد الباحث في دراسته، على الألوان المذكورة صراحةً بلفظها وليس بصفاتها، فالورد، والنرجس، والشمس، والحمامة، والغراب، والروض، والماء ...، ففي هذه الألفاظ وإن دلّت أحياناً على ألوانها الصريحة فإنها في الغالب تترجم عند الشعراء بصفاتها ومعناها المستقل عن اللون، وإذا أراد الشاعر أن يسقط عليها دلالة اللون فإنه يؤكد ذكره للون صراحةً ليعوّ عن الملل النفسي للآون وما يحمل من معانٍ، كـأن يقول الوردة الحمراء، والنرجس الأصفر، والشمس المصفرة، والحمامة البيضاء، والغراب الأسود، والروضة الخضراء، والماء الأزرق.

اللون الأبيض:

كثيراً ما ارتبط ذكر اللون الأبيض بالشيب لدى الشعراء بما يحمله من دلالة الحزن والدلالة على قرب الأجل، يقول ملك بلنسية مروان بن عبدالعزيز:

ولمّا رأيتُ الشيبَ أيقنْتُ أنّه نذيرٌ لـِ جسمي بانهدامِ بِنائِهِ

إذا ابيضَّ مُخضِرُ النباتِ فإِنَّهُ دليلٌ على استحصادِهِ وفنائِهِ⁽¹⁾.

يرى الشاعر في الشيب ولونه الأبيض دلالة على الوهن والمرض، وهنا يبدأ الشاعر رحلة التطير والتشاؤم من هذا اللون الذي ينذر بفقد الصحة والقوة والشباب ويشبه حالته مع الشيب بحال النبات المخضر إذا تغير لونه فإنه دليل على فناءه.

(1) التلمساني، أحمد بن محمد المقري (1988م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الثالث، ج3،

ويقول سعيد بن عمرو القرشي في هذا المعنى في بياض الشيب وما يحمله من الدلالة على

التشاؤم:

تخطُّ يدُ الزمانِ على عذاري سَطُوراً مِنْ حُرُوفِ الشَّيْبِ بِيضاً

فأُبغِضُهَا وَلِنْ كَانَتْ كُصْبِحَ وَلَمْ أَرْقُبْهَا صُبْحاً بَغِيضاً⁽¹⁾.

هنا يحمل الشاعر الزمان أسباب شيبه وكأنه يعاتب الدورة الزمنية على وجود البياض المتمثل في الشيب الذي شبهه الشاعر بسطور رسم حروفها الزمان على صفحات وجهه، ويخص الشاعر بغضه لهذا اللون في هذا الموضع فقط حينما وضع مقارنة بين الشيب والصبح فذكر التشابه بينهما في الصورة اللونية مع اختلافهما في الصورة الدلالية فبياض الشيب بغيض على النفس ويبعث على التشاؤم أما بياض الصبح عكسه تماماً فهو محبوب للنفس ويحمل دلالة التفاؤل، ولقد أجاد الشاعر في استحضار لون الصباح الأبيض لرسم لوحته الفنية ليؤكد بشكل واضح مدى الاختلاف الدلالي للون الواحد، فقد اكتسب اللون الأبيض أشهر دلالة له وهي دلالة الأمل والتفاؤل لاقتترانه بلون الصباح المشرق، بينما جاءت دلالاته التي تحمل معاني الحزن واليأس والتشاؤم في جانب الشيب.

احتل شعر الشيب مساحة كبيرة في خزائن الشعراء وقد اتفق شعراء أهل المغرب العربي مع شعراء أهل المشرق العربي في دلالة اللون الأبيض في الشيب وما تحمله من معاني الحزن والتشاؤم والتطير، ولكنهم اختلفوا في لباسهم في المآتم، فلبس الأندلسيون لباس البياض في مآتمهم وأحزانهم، ولبس المشارقة اللباس الأسود في مآتمهم وحدادهم.

(1) الطبيب، عبدالله محمد بن الكتاني (د.ت). التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ص270.

وفي لباس الثياب البيضاء في المآتم والحداد ومدى ارتباط هذه المناسبة في الشيب لدى

الشعراء، يقول الشاعر:

ألا يا أهل أندلسٍ فطنتُم بلُطفكم إلى أمرٍ عجيبٍ

لبستم في مآتمكم بياضاً فجئتُم منه في زيٍّ غريبٍ

صدقتم فالبياضُ لباسُ حزنٍ ولا حزنٌ أشدُّ من المشيب⁽¹⁾.

يخاطب الشاعر في أول بيتين أهل الأندلس بأسلوب تعجب واستغراب من عادة لبس الثياب البيضاء في المآتم وجاء هذا الاستنكار لدى الشاعر بسبب ما تعارف عليه واشتهر به اللون الأبيض للدلالة على الفرح والأمل والتفاؤل فتعجب من اتخاذه في المآتم للدلالة على الحزن والموت، لكنه في البيت الأخير أقر هذه العادة وصدق عليها عندما تذكر اللون الأبيض في الشيب وما يحدثه في النفس من يأس وضعف وحزن، وهنا تشبيه بليغ حيث شبهه الشاعر اللباس الأبيض الذي يلبسه أهل الأندلس في الأحزان بالمشيب، فقله: (ولا حزن أشد من المشيب) جاء للتأكيد على أن اللون الأبيض المتمثل في صورة الشيب يعد أعظم مرتبة من مراتب الأحزان ولا يعادلها في ذلك إلا الحداد والحزن على فقدان قريب أو نسيب أو حبيب، وكان وجه الشبه بينهما هو فقدان أهل الميت شخص عزيز لديهم وغالي عندهم يفقد صاحب الشيب صحته ونضارته وعنفوانه وشبابه فضلاً عن دلالاته على قرب الأجل.

يمكن القول أن نظرة الشعراء الأندلسيين إلى الصورة اللونية المتحققة من أثر الشيب، لم تظهر بالمعاني الإيجابية التي يمكن استجلائها من هذه المرحلة الزمنية في عمر الإنسان؛ ذلك أنها نظرت إلى الأمر من زاوية واحدة، وهي نظرة متشائمة قامت على أساس نفسي يعكس حالة الوهن والكسل

(1) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، ص440.

والعجز التي يؤول إليها حال المرء، فغابت الرؤية التي ترسم الهيبة، والتعقل، والوقار الذي يضيفه لون الشيب على صاحبه⁽¹⁾.

ومن دلالات اللون الأبيض، دلالة شرف البذل والعطاء في اليد البيضاء، قال الوزير أبو جعفر ابن وضاح:

فلتعتدني من لُنتك عنايةً تنفي صروف الدمر عن أرجائي

وافتك سابقة الثناء على الذي تؤليه من تلك اليد البيضاء⁽²⁾.

فقد وصف الشاعر يد ممدوحه باليد البيضاء، وقد أطلقت صفة اليد البيضاء في لغة العرب على " اليد التي لا تمن لشرفها في أنواع الحجاج والعطاء"⁽³⁾، وتأتي هذه الجملة غالباً في شعر المدح كناية عن الكرم والسخاء، بالإضافة إلى النقاء والطهارة، فالشاعر هنا أراد في هذه الأبيات أن يدخله ممدوحه في عنايته وأن يتولى أمره كما فعل مع من سبقه في مدحه وأثنى عليه لما وجده من يد بيضاء تتصف بالنقاء ولا تمن في العطاء.

وفي اليد البيضاء وما تحمل من دلالة على الكرم والنقاء في وصف صاحبها قال الشاعر ابن زيدون يمدح الوزير محمد بن جهور ويعاتبه مترضياً، ويدعوه إلى العودة لسابق عهده به من التعامل

(1) اللون ودلالاته الموضوعية والفنية، انظر ص 118.

(2) ابن خاقان، الفتح بن محمد (1983م). مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، دار

عمار، ص 403.

(3) لسان العرب، مادة بيض.

معه باليد البيضاء التي يتصف صاحبها بالصدق حينما يتعامل مع أحبائه عكس "أراجيف"⁽¹⁾ الأعداء فإنها كاذبة:

فَعُدِّيدٌ بِيضَاءَ يَصْدَعُ صِنْقُهَا فَإِنَّ أَرَاغِيْفَ الْعُدَاةِ كَذَابٌ⁽²⁾.

ومن الدلالات النفسية للون الأبيض دلالة التفاؤل وتعد هذه الدلالة أشهر وأكثر دلالة وظفها الشعراء في أشعارهم للون الأبيض، يقول ابن خفاجة في وصف القمر:

والليلُ وضَّاحُ الجبِّ — من قَصِيرِ أذيالِ الثَّيَابِ

فَقَنَصْتُ مِنْهُ حَمَامَةً بِيضَاءَ تَسْنَحُ مِنْ غُرَابٍ⁽³⁾.

وهنا شبه الشاعر ضوء القمر "الوضَّاح"⁽⁴⁾ بالحمامة البيضاء، وشبه الليل بالغرَاب، وقد اصطاد هذه الحمامة "السانحة"⁽⁵⁾ التي يتبرك بها من "البارح"⁽⁶⁾ وهو الليل أو الغراب الذي يتشاعم به "ومن أجل تشاؤم العرب بالغرَاب اشتقوا من اسمه الغربة والاعتراب والغريب، وليس في الأرض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شيء يتشاعمون به، إلا والغرَاب عندهم أنكد منه"⁽⁷⁾، وقد رسم الشاعر هنا لوحة

(1) أراجيف: أخبار، لسان العرب، مادة رجف.

(2) ابن زيدون (2004م). ديوانه تحقيق علي عبدالعظيم، ط3، الكويت، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ص44.

(3) ديوان ابن خفاجة، ص30.

(4) لسان العرب، مادة وضح.

(5) المصدر السابق، مادة سنج.

(6) المصدر السابق، مادة برح.

(7) الألويسي، محمود شكري (د.ت). بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، ج2، ص335.

فنية تحمل أبعاد نفسية توضح كيفية التعامل والبحث عن الجانب المشرق والنظر إلى الأمور نظرة تفاؤل وأمل.

وجاءت دلالة اللون الأبيض بما تحمله من صفاء ونقاء وطهارة، قال منصور بن محمد بن أبي بهلول:

بِمُحَمَّدٍ حَمْدَ الزَّمَانِ كَمَا بَفْعَالِهِ قَدْ أَحْسَنَ الدَّكْرُ
أَيَّامَهُ بِيضٌ مَهْتَبَةٌ لَوْلَا مَكَارِمُهُ انْقَضَى الدَّهْرُ⁽¹⁾.

يصف الشاعر هنا خير الأنام بأن أيامه بيض كناية عن التفاؤل والأمل وعن النقاء والطهارة، ويعلل الشاعر أسباب وجود الأخلاق الحميدة والمكارم في هذا الزمان وكل زمان بأنها كانت بفضلها؛ ففوله في الشطر الأخير: لولا مكارمه انقضى الدهر يعني بأن لولا مكارم نبي الرحمة لخلا الدهر من المكارم وقد صدق في وصف من قال به تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء 107.

اللون الأسود:

إنّ اللون الأسود له دلالات نفسية متعددة كغيره من الألوان، ومن أشهر دلالاته دلالة السوء، قال أبو عمران القلعي:

ظَلَعَتْ عَلَيَّ وَالْأَحْوَالُ سَوْدٌ كَمَا ظَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَى الظَّلَامِ
فَقُلْ لِي كَيْفَ لَا أَوْلِيكَ شَعْرِي وَإِخْلَاصَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ⁽²⁾.

⁽¹⁾ ابن الأثير، محمد بن عبدالله (2008م). الحلة السرياء، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص87.

⁽²⁾ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، ص305.

شَبَّهَ الشاعر طلعة ممدوحه عليه بعدما كانت أحواله سوداء ومظلمة وكئيبة، بطلعة الصباح المشرق الذي حلَّ عليه مثل الأمل بعد الخيبة والانكسار وأضاء له حياته مثلما يضيء نور الصباح عتمة الليل، فأخرجه من حالة السوء التي كان يعيشها. فجاءت دلالة اللون الأسود على الكآبة والحزن واليأس.

وكثيراً ما كانت تحمل دلالة اللون الأسود النفسية على التشاؤم، ولأبي محمد عبدالحق القرطبي أبيات نظمها لما قام الباجي بإشبيلية وخلع طاعة ابن هود، وأبدل شعاره الأسود العباسي في البنود، فقال:

كَأَنَّ مَا الرَايَةُ السُّودَاءُ قَدْ نَعَبَتْ لَهُمْ غُرَاباً بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ

مات الهوى تحتها من فرط روعته فأظهر الدهر منها لبسة الكمد⁽¹⁾.

وترتبط دلالة التشاؤم من الغراب وسواد لونه، " بالأسطورة السامية، من أن نوحاً عليه السلام أرسله وهو بالسفينة بعد الطوفان يبحث عن الأرض، فترك المهمة الموكلة إليه، وأخذ يأكل جيفة وجدها، وهنا حطت عليه لعنة نوح، فتغير ريشه إلى اللون الأسود"⁽²⁾.

ولمحمد بن معن المعتصم بالله أبيات كتبها إلى المعتمد، يقول فيها:

شكري لبَّرك شكر الروض للمطر ونفح بشرى به أذكى من الزُّهر

لئن حرمت لقاء منك أشكره لقد حلت سواد القلب والبصر⁽³⁾.

(1) نفح الطيب، ص 315.

(2) اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 177.

(3) الحلة السيرة، ص 222.

سواد القلب كناية عن الهم والغم والحزن، ويقصد الشاعر في هذه الأبيات أن المعتمد بن عباد إذا حرم لقاءه الذي كان يرجوه ومنعه منه سوف يبيع سواد القلب، ولن ينجلي هم المادح وينفرج غمه وحزنه إلا إذا تم هذا اللقاء مع الممدوح.

وفي سواد القلب وما يرمز له من دلالة الحزن والهم واليأس، قال الشاعر نفسه وقد توفيت إحدى بناته:

لَمَّا غَدَا الْقَلْبُ مَفْجُوعًا بِأَسْوَدِهِ وَفَضَّ كُلَّ خَتَامٍ مِنْ عَزَائِمِهِ

رَكِبْتُ ظَهَرَ جَوَادِي كِي أُسْلِيهِ وَقَلْتُ لِلسَّيْفِ كُنْ لِي مِنْ تَمَائِمِهِ⁽¹⁾.

عندما حل هذا المصائب على الشاعر وانفجع قلبه اتجه لجواده واتخذة وسيلة للتهوين على قلبه، كما أنه خاطب سيفه وأمره بأن يكون " كالتميمية"⁽²⁾ لهذا القلب المفجوع يحميه من كل أذى.

ولابن زيدون وهو في السجن أبيات يتوجّد فيها على أيام السمر التي كان يقضيها مع محبوبته، يقول:

نَاهِيكَ مِنْ سَهَرٍ بَحٍّ تَأَلَّفُهُ شَوْقٌ إِلَى مَا انْقَضَى مِنْ ذَلِكَ السَّمرِ

فَلَيْتَ ذَاكَ السَّـ وَادَ الْجَوْنِ مُتَّصِلٌ لَوْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْجَـرِ⁽³⁾.

(1) الحلة السبراء، ص 220.

(2) التميمية: عوذة تعلق على الإنسان، لسان العرب، مادة تم.

(3) ديوان ابن زيدون، ص 106.

يتمنى الشاعر الرجوع إلى ليالي السهر والسمر التي كان يقضيها مع معشوقته في الليل " الجَن " (1) أي الأسود المشرب حمرة، لكي ينزاح همه وحزنه الذي عوّ عنه بسواد القلب والبصر، فكان الشاعر بين سوادين؛ أحدهما محبب للنفس، وهو السواد الذي كان يسامر فيه محبوبته، والآخر سواد بغيض يرمز للهم والحزن والكآبة وهو سواد القلب والبصر؛ وفي هذه العبارة كناية عن شدة الحزن واليأس والهم.

ومن دلالات اللون الأسود، دلالة الحقد والبغض، قال ابن هانئ الأندلسي:

هَمَّ صَيَّرُوا خَمًا تَسْوَسُ أُمُورَهُمْ يَا لِلزَّمانِ السَّوِّءِ كَيْفَ تَصَرَّفُوا

مَنْ كُلُّ مُسَوِّدِ الضَّمِيرِ قَدْ انطَوَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقَلْبِ وَلَفَّافًا (2).

يعلّل الشاعر في هذه الأبيات من أن أسباب حصار الأعداء لمدينة أنطاكية وضعفها وقرب سقوطها، كان بسبب " قلى " (3) أي بغض العاملين عليها وحقدهم على المسلمين، وفي عبارة مسود الضمير كناية عن البغض والحقد والحسد.

ولابن خفاجة أبيات جاءت الدلالة النفسية للون الأسود فيها بمعنى الظلم والحسد والتي يقول

فيها:

يَا جَامِعًا بِمَسَاوِيهِ وَطَلَعَتْهُ بَيْنَ السَّوَادِينَ: مَنْ ظَلَمَ وَمَنْ ظَلِمَ

أَقْلَهُ جَسَدًا فِي مِثْلِهِ حَسَدًا لَقَدْ تَأَلَّفَ بَيْنَ النَّارِ وَالْفَحْمِ (4).

(1) لسان العرب، مادة جون.

(2) ابن هانئ (2008م). ديوانه، ط2، بيروت، دار صادر، ص204.

(3) لسان العرب، مادة قلا.

(4) ديوان ابن خفاجة، ص266.

يفسّر الشاعر أسباب سوء المهجو، وسواد طلعتة، واللاتين عو عنهما الشاعر بالسّوادين؛ " الظلم والظلم" ⁽¹⁾ أي الجور وسواد الوجه وظلامه، كانتا نتيجة للحسد الذي أحرق جسده حتى تقحم، فكان الحسد ناراً والجسد فحماً .

اللون الأحمر:

تعدّ صفة الحياء في المرأة وخجلها من الصفات المحيية عند العرب لما تحمله من دلالة العفاف والطهارة، لذلك نجد كثيراً من الشعراء قد تغوّا بحمرة خدّ المحبوبة؛ والتي تدل على هذه المعاني، بالإضافة إلى ما ترمز إليه دلالة حمرة الخد للحياة والنضارة والصحة.

ومن الدلالات النفسية للون الأحمر والتي ترمز لمعاني الخجل والحياء، قال يوسف بن هارون:

وَكأنَّ ثَرَّ الخِيِّ كَسَى حُصَّةَ الـ ياقوتٍ مِنْ نَظَرِ العِيونِ إِلِيه

وَكأنَّ خَجَلَتَهُ إِذا ما فارَقْتُ وجناتِهِ عادتُ إِلَى خَدَيْهِ ⁽²⁾.

يحمل الشاعر في هذين البيتين اللون الأحمر دلالتين مختلفتين إحداهما دلالة جمالية فيها استعارة تصريحية حيث شبه لون الخد الأحمر بحجر الياقوت الكريم، والدلالة الأخرى دلالة نفسية تعلل أسباب حمرة الخد بأنها كانت بسبب الخجل والحياء من نظر العيون إليه.

(1) لسان العرب، مادة ظلم.

(2) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص131.

ويقول ابن خفاجة في هذا المعنى:

قَبَّلْتُ مِنْهُ أَقْحَوَانَةً مَبْسِمٍ رَقَّتْ وَرَاءَ كُمَامَةٍ ثُمَامٍ

وَلَدَتْ مَتَّ حُمَةً وَجَنَةً تَنْدَى حَيَا فَكَرَعْتُ فِي بَرْدِ بَهَا وَسَلَامٍ⁽¹⁾.

شبه الشاعر ثغر المحبوب "بالأقحوانة"⁽²⁾ وهي نبتة الربيع التي لها ثور أبيض كأنه ثغر جارية وشبه شفتيه "بالكمامة"⁽³⁾ وهي غطاء الثور، والمعنى هنا بأنه قبَّل ثغر المحبوب، ثم "لثم"⁽⁴⁾ أي قبَّل وجنته التي احمرت من الخجل وأكد هذا المعنى بأنَّ وجنة محبوبه تندى "حيا"⁽⁵⁾ أي تتصبَّب عرقاً من فرط الحياء.

ويقول الشاعر يوسف بن هارون الرَّمَادِي في وصف حمرة الخدود ودلالاتها على الحياء

والخجل:

يَا خُدُودَ الْحَوْرِ فِي إِجَالِهَا قَدْ عَلَتْهَا حُمَةٌ مُكْتَسَبَةٌ⁽⁶⁾.

(1) ديوان ابن خفاجة، ص 269.

(2) لسان العرب، مادة قحأ.

(3) المصدر السابق، مادة كمم.

(4) المصدر السابق، مادة لثم.

(5) حيا في الأصل حياء ولكن قام الشاعر بتخفيف الهمزة لاستقامة الوزن، والحياء بمعنى الاستحياء. لسان العرب، مادة حيا.

(6) الحميري، إسماعيل بن محمد بن عامر (1997م). البديع في فصل الربيع، تحقيق علي إبراهيم كردي، ط1، دمشق، دار سعد الدين،

" إن ما يستحب من المرأة عند العرب من محاسن أخلاقها، أن تكون حَيَّةً منخفضة الصوت محبة لزوجها متحبة إليه نفوراً من الريبة تجتنب الأقدار عاملة اليدين خفيفتهما في العمل ولوداً⁽¹⁾.
ولأبي القاسم بن شبراق شعر جميل يصف فيه وردةً ، ويشبه فيها حمرة الورد بدموع شوقه وخدود محبوبته الحَيَّة، فيقول:

خَجَلَتْ إِذ تَأَمَّلَتْهَا الْعُيُونُ خَجَلًا فِي أَحْمَارِهَا يَسْتَبِينُ
وَرْدَةٌ وَرَّتْ دَمْعُوعِي شَوْقًا لَلَّتِي خَذَا بِهَا مَقْرُونُ
بَذْتُ غُصْنِي يَقْرُ الدَّهْمَ رُ لَهَا فِي رِيَاضِهَا وَالْغُصُونُ
وَاسْتَسْرَتْ عَنِ الْيُونِ حَيَاءً وَعَرَا عَرَفَهَا التَّكْيُّ سَكُونُ
سَدَّ تَرْتِ وَجْهَهَا بِبَرْقِعِهَا وَأَسَدَ تَقَبَّلَتْ نَا مِنْ الْفُتُونِ فُنُونُ
كَالْفَتَاةِ الْحَيَّةِ انْقَابَتْ كَيَ لَا يَرَى رَى وَجْهَهَا الْجَمِيلُ الْمَصُونُ⁽²⁾.

فقد وصف الشاعر الوردة الحمراء وشبهها بالفتاة " الحَيَّة " ⁽³⁾ أي ذات حياء، وذكر محاسنها وفنونها وفتنتها وخجلها المقترن بحيائها التي انتقبت بسبب عَقَّها وحشمتها كي لَا يَرَى وجهها الجميل المصون الذي حفظته من الأعين والألسن، وفي وصف الشاعر للوردة وحمرتها تشبيه آخر يدل على الحزن الشديد، فهو يشبه حمرة الورد بدموعه التي احمرت حزناً وألماً من شدة شوقه لمحبيبته وصباوته، وكثير من الشعراء من استخدم هذه العبارة كناية على شدة الحزن والأسى.

(1) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ص14.

(2) البديع في فصل الربيع، ص128.

(3) لسان العرب، مادة حيا.

وفي الدموع الحمر من أثر الفراق التي تحمل دلالة نفسية ترمز لشدة الألم والحزن والهم يقول

ابن زيدون:

بَكَيْنَا دَمًا حَتَّى كَأَنَّ عِيُونَنَا لَجَرِي الدَّمُوعِ الحُرِّ فِيهَا جِرَاحَاتُ
وَكَمَا نُرَجِّي الأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ غَايَهَا زِيَادَاتُ⁽¹⁾.

في قول الشاعر: بكينا دماً استعارة تصريحية حيث شبه الدموع بالدم، وفي قوله: الدموع الحمر كناية عن الحزن الشديد الذي أصابه جراء فراق محبوبه الذي كان ينتظره ويرجو "الأوب"⁽²⁾ أي الرجوع إليه بعد ثلاثة أيام من غيابه فكيف وقد زادت مدة الغياب أكثر من ذلك.

وقد ذكر الشعراء العبرة الحمراء أو الدموع الحمر كثيراً للدلالة على الحزن الشديد في الرثاء، يقول ابن خفاجة راثياً أم القاضي، أبي أمية:

فِي مِثْلِهِ مِنْ طَارِقِ الأَرْزَاءِ جَادَ الجَمَادُ بِعَبْرَةِ حَمَاءِ⁽³⁾.

"الأرزاء"⁽⁴⁾ جمع مفردة رزء، والرُّزءُ : المصيبة، وهنا قدم الشاعر لوحة فنية في غاية الجمال حيث أنه أنطق الجماد وألبسه لباس الكائن الحي بأن له أحاسيس ومشاعر جعلته من هول هذه المصيبة يبكي ويذرف العبرات الحمراء كناية عن شدة ألمه وحزنه بسبب موت أم القاضي، وفي قول الشاعر جاد الجماد جناس ناقص وهي من المحسنات البديعية التي أحدثها شعراء المشرق العربي ومن وظائف هذه المحسنات البديعية إعطاء القصيدة إيقاع موسيقي يضيف جمالاً يضاهي الجمال المعنوي، ولقد لقب

(1) ديوان ابن زيدون، ص 53.

(2) لسان العرب مادة أوب.

(3) ديوان ابن خفاجة، ص 21.

(4) لسان العرب، مادة رزأ.

الشاعر ابن خفاجة بصنوبري الأندلس بسبب التشابه الكبير بينه وبين الشاعر أبو بكر الصنوبري المشرقي في استخدام المحسنات البديعية والاهتمام بالأجرام الموسيقية في القصائد فضلاً عن التشابه بين الشاعرين في الإكثار من وصف الرياض والأزهار والرياحين.

وفي الزهد قال أحمد الإليشي مخاطباً نفسه ومعاتبها ويحثّها على أن تحزن وتذرف الدموع الحمر حسرةً وندماً وأسفاً على ما ارتكبتها من ذنوب سالفة:

فهل أرق الطرف الزمان الذي مضى وأبكاه ذنبٌ قد تقدّم سالفُ

فجد بالدموع الحمر حُزناً وحسرةً فدمعك ينبي أن قلبك آسف⁽¹⁾.

في الدموع الحمر كناية عن شدة الأسف والندم على ارتكاب المعاصي، وهنا يدعو الشاعر نفسه إلى كثرة البكاء والندم والاستغفار ليظهر قلبه من ترسبات ألم الاحساس بالذنوب والخطيئة ليتحقق له قول الله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِنَ يَقْوَاهُ التَّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَقِيمُونَ) آل عمران 135.

ومن دلالات اللون الأحمر كما ذكرنا دلالة النضارة والبهاء والحياة والصحة، يقول الشاعر عبيد الله بن إدريس:

أهدى إليك تحيةً من عنده زمن الربيع الطلق باكر ورده

يحكي الحبيب سرى لوعده محبه في طيب نفحته وحمة خده⁽²⁾.

(1) عباس، إحسان (1977م). تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، بيروت، دار الثقافة، ص 107.

(2) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص 51.

فقد جاءت الدلالة النفسية للون الأحمر في هذين البيتين على دلالة الخجل والبهاء والنضارة والشباب والحياة.

ومن دلالات اللون الأحمر أيضاً الدلالة على الغضب والحقد، يقول يوسف بن هارون واصفاً طير البازي:

تَبَّتْ عَلَى الْبَازِي مِنَ الرِّيشِ لَامَةً فَتَحَسَبُهُ مَنْ سَائِرِ الطَّيْرِ يَنْقِي

غَدَا أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ تَحَسَّبَ أَنَّهُ لَهُ عَيْنٌ غَضْبَانٍ عَلَى الطَّيْرِ مُحْنَقٍ

وَقَدْ وُرِّسَتْ سَاقَاهُ حَتَّى كَانَتْمَا لَهُ بِالذُّرْيَا خَاضِبٌ لَمْ يَحَقِّقْ⁽¹⁾.

امتدح الشاعر في أول بيتين طير البازي لضرافته وإقدامه على فتراس الطريدة، وعلا حمرة عيني الطائر أنها كانت بسبب غضبه "وحنقه"⁽²⁾ أي حقه على فريسته، وفي البيت الثالث أخرج الشاعر مشهد حي ومباشر في رسم الصورة الفنية لطير الباز وهو ينقض على فريسته؛ فقله: وقد وُرسَتْ ساقاه؛ "الورس"⁽³⁾ شيء أصفر إذا وقع على الثوب لونه؛ وورُست الثوب: صبغته بالورس؛ ويعني الشاعر هنا أن ساقاه؛ أي طير الباز صبغت باللون الأصفر ويعني أيضاً بأنها لم تتخضب بلون الدم الأحمر منذ فترة وسوف ينقض على فريسته لكي يخضب ساقاه بدمها.

(1) التشبيهات، ص 185-186 .

(2) لسان العرب، مادة حنق.

(3) المصدر السابق، مادة ورس.

اللون الأصفر:

أكثر دلالة وظفها الشعراء وأسقطوها في أشعارهم للون الأصفر هي دلالة المرض، واختلفت أسباب هذا المرض من شاعر لآخر، فمنهم من علّلها بالعشق، ومنهم من علّلها بالشوق، وبالفراق.

ومن الدلالات النفسية للون الأصفر التي ترمز للألم بسبب العشق يقول أبو بكر بن نصر

يصف زهرة النرجس:

مِنْ نَرَجِسٍ ذِي جُفُونٍ مُوَعَّهَا مَرْفُضَّةُ
مُصْفَرًّا لَوْنٍ كَصَبٍّ بِهِ غَرَامٌ أَمْضَّةُ⁽¹⁾.

شبه الشاعر لون النرجس المصفر "بالصَّبِّ"⁽²⁾ أي العاشق المشتاق الذي يشكو من غرام وعشق "أَمْضَّة"⁽³⁾ أي آلمه وأوجعه، فكانت دلالة لون الأصفر على المرض الذي جاء نتيجة الشوق والعشق الذي آلمه.

ويصف النرجس أيضاً الشاعر أحمد بن فرج بنفس دلالاته السابقة، فيقول:

وَنَرَجِسٍ تَطُفُّ أَجْفَانُهُ كَمَقْلَةٍ قَدْ دَبَّ فِيهَا الْوَسَنُ
مَنْهُ مِنْ صُفْرَةٍ عَاشِقٍ يَلْبُسُ لِلْبَيْنِ ثِيَابَ الْحَزَنِ⁽⁴⁾.

(1) البديع في فصل الربيع، ص 50-51 .

(2) لسان العرب، مادة صبيب.

(3) المصدر السابق، مادة مضض.

(4) البديع في فصل الربيع، ص 103.

شبه الشاعر زهرة النرجس بالعاشق الذي اصفر لونه من شدة الحزن بسبب فقدته لمعشوقه، كما شبه الشاعر أيضاً الورق الأبيض الذي يحيط بزهرة النرجس الأصفر بثياب الحداد البيضاء التي يلبسها أهل الأندلس في ماتمهم.

وقد اشتهرت زهرة النرجس بما تحمله من دلالات المرض والحزن والعشق والشوق، فرمما ترجع هذه الدلالات للنرجس للأسطورة الإغريقية، " فقد اشتق لفظ النرجسية من اسم أحد الأشخاص (نرجس)، وكما تروي الأسطورة الإغريقية القديمة، كان هذا الشخص يتميز بمظهر جميل، وقد شاهد أثناء تجواله في أحد الأيام وفقاً للأسطورة في الريف صورته المنعكسة في بحيرة هادئة في أحد الغابات، ووقع بجنون في حب نفسه متمثلة في صورته، وملئ باليأس لأنه لم يستطع الوصول إلى المحبوب فقتل نفسه، ومن نقاط الدم القليلة التي سالت على الأرض بجوار الماء، نمت زهرة عرفت من هذا الوقت حتى يومنا هذا بزهرة النرجس"⁽¹⁾.

وفي نبات الخيري الأصفر وما يحمله من دلالة على المرض، يقول الشاعر أبو الحسن بن علي:

عَلَّأَصْفَرَ الْخَيْرِي بِدِي مِنَ الضَّنَا تَبَارِيحَ مَكْلُومِ الْفُؤَادِ سَقِيمِهِ⁽²⁾.

فقد علل الشاعر صفة لون الخيري وما يظهره من " الضنى"⁽³⁾ أي المرض والسقم، أنه من أسباب " التباريح"⁽⁴⁾ أي الشدة والمشقة التي يعاني منها " المكلوم"⁽⁵⁾ أي المجروح، وهنا يشبه الشاعر نبات

(1) البحيري، عبدالرقيب أحمد (1987م). الشخصية النرجسية دراسة في ضوء التحليل النفسي، ط1، دار المعارف، ص3.

(2) البديع في فصل الربيع، ص88.

(3) لسان العرب، مادة ضنا.

(4) المصدر السابق، مادة برج.

(5) المصدر السابق، مادة كلم.

الخيرى الأصفر بالعاشق الذي ألم به المرض والتعب بسبب العشق وآلام الجروح التي تدمي قلب العاشق.

ويقول ذو الوزارتين أبو عمرو عبيد في زهرة "الظيان"⁽¹⁾ الأصفر وما يرمز له من دلالة على المرض نتيجة لحزنه الشديد لفراق محبوبه وجفائه له:

كَأَنَّ لَوْنَ الظَّيَّانِ حِينَ بَدَأَ نَوَارُهُ أَصْفَرَ عَلَى وَرْقِهِ

لَوْنُ مُحِبِّجَفَاهُ ذُو مَلَالٍ فَاصْفَرَّ مِنْ سُقْمِهِ وَمِنْ أَرْقِهِ⁽²⁾.

يؤكد الشاعر هنا من أن اصفرار لون زهرة الظيان الذي شَبَّهها بالمحب بأنها كانت بسبب شوقه الذي أدى إلى سقمه إثر جفاء الحبيب.

وفي هذا المعنى للون الأصفر وما يحمل من دلالة المرض بسبب العشق، يقول جعفر بن عثمان المصحفي يصف سفرجلة:

وَصَفْرَةٌ تَخْتَالُ فِي ثَوْبِ نَرْجِسٍ وَتَعْبَقُ عَنْ مِسْكِ ذَكِيِّ النَّفْسِ

لَهَا رِيحٌ مُحْبُوبٍ وَقِسْوَةٌ قَلْبِهِ وَلَوْنٌ مُحِبٌّ حُطَّةَ السُّقْمِ مُكَتَسِي⁽³⁾.

(1) الظَّيَّانُ: ياسمين البر، وهو نبت يشبه السَّرين. لسان العرب مادة ظين.

(2) البديع في فصل الربيع، ص 101.

(3) مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ص 158.

وللشاعر مرج الكحل وصف رائع للشمس وصُفَّتْها عند الغروب وعلل الشاعر صُفُوَ الشمس بسبب فراق المنظر الحسن للطبيعة، فجعل الشمس عاشقاً أَلَمَ به الأسى والحزن واصفراً لونه لفراق محبوبه المتمثل بالطبيعة حسنة المنظر، قال:

ما اصفرَّ وجهُ الشمسِ عندَ غروبِها إلا لفرقةٍ حُسنِ ذاكَ المنظرِ⁽¹⁾.

وفي هذا البيت استعارة مكنية حيث شَبَّه الشاعر الشمس بالعاشق الذي اصفر وجهه بسبب الحزن والأسى إثر فراقه لمعشوقه، وشَبَّه أيضاً المنظر الحسن بالمعشوق المفارق.

وفي نفس هذا المعنى في دلالة اللون الأصفر على حزن العاشق لفراق المعشوق، يقول الشاعر أبو جعفر عبدالله القرطبي:

أماكلءُ قَدَمَ تَصَفَّرَ إذِ جَنَحَتْ إلا لفرقةٍ ذاكَ المنظرِ الحسَنِ⁽²⁾.

نُكَّاءُ⁽³⁾ اسم الشمس، وهنا شَبَّه الشاعر الشمس بالعاشق المفارق، وشَبَّه أيضاً المنظر الحسن بالمعشوق الذي فارقه.

ومن دلالات اللون الأصفر أيضاً، دلالة الخوف، ولابن فرج الجياني معنى يعارض به ما كان من دلالة اللون الأصفر وما يحمله من دلالة على المرض، فقد علل صفرة الوجه الذي يتغزل به، أنها كانت بسبب خوفه من وتر الموتورين الذين كانوا ضحايا افتتانهم بحسنه وجماله، إذ يقول:

(1) ابن الخطيب، لسان الدين (2001م). الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط4، ج2، بيروت، مكتبة الخانجي،

ص344.

(2) الحلة السيرة، ص297

(3) لسان العرب، مادة ذكا.

قالوا: بهِ صُفْرَةٌ عَابَتْ مَحَاسِنَهُ فَقُلْتُ: ما ذاك من عَيْبٍ بهِ نَزَلَا

عَيْنَاهُ تُطَلِّبُ فِي أَوْتَارٍ مِنْ قَتَلْتُ فَلَسْتُ تَلَقُّهُ إِلَّا خَائِفًا وَجَلًا⁽¹⁾.

ويؤكد الشاعر ابن خفاجة دلالة الخوف على الوجوه الصُفْرَة، قال وقد استرجعت بلنسية من يد

الروم:

في موقفٍ يَذْهُلُ الذِّلُّ الصَّفِيُّ بِهِ عَنْ الْخَلِيلِ وَيَنْسَى الْعَاشِقُ الْغَزْلَا

تَرَى بَنِي الْأَصْفَرِ الْبَيْضَ الْوُجُوهِ بِهِ قَدْ رَاعَهَا السُّفُّ فَاصْفَرَّتْ بِهِ وَجَلًا⁽²⁾.

يقصد الشاعر أن وجوه بني الأصفر البيضاء قد اصفرت "وجلًا"⁽³⁾ أي خوفاً بعدما "راعتها"⁽⁴⁾ السيف أي أفرعها، وقد رسم الشاعر هنا لوحة فنية في غاية الجمال من خلال تداخل الألوان ليؤكد استحضر الدلالة النفسية للون الأصفر بشكل واضح وجلي حيث ذكر بني الأصفر وهم الروم ليستحضر اللون الأصفر ثم وصف لون وجوههم وهو اللون الأبيض الذي صبغ إثر الخوف والفزع من سيوف المسلمين باللون الأصفر، فقله: اصفرت به وجلًا كناية عن شدة الخوف والفزع.

ومن دلالات اللون الأصفر أيضاً، الدلالة على الموت، يقول مروان بن عبد الرحمن المعروف

بالطليق واصفاً الجيش في المعركة:

لَهُ عَسْكَرٌ كَالْبَحْرِ بِالْبَيْضِ مُزِيدٌ وَكَالْغَيْمِ عَنْ بَرْقِ السِّيُوفِ قَدْ افْتَرَا

(1) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، ص266.

(2) ديوان ابن خفاجة، ص260.

(3) لسان العرب، مادة جأل.

(4) المصدر السابق، مادة روع.

فإن عَصَفَتْ رِيحُ الوغَى بِكِمَاتِهِ رَأَيْتَ بِهَا وَجَهَ الحِمَامِ قَدْ أَصْفَرًا⁽¹⁾.

يصف الشاعر حال المعركة وما يحدث بها من طعان وصوت جلبية مقارعة السيوف ببعضها بعضاً وأصوات وقع سنايك الخيول، وما ينتج عنه من ظهور وجه " الحمام"⁽²⁾ أي الموت، مصفراً، وهنا شبه الشاعر الجيش بزيد البحر وبالغيم كناية عن الكثرة، كما شبه أيضاً الموت بإنسان اصفر وجهه من شدة الخوف من هذا الجيش العظيم .

وجاءت دلالة اللون الأصفر تحمل معنى الجوع، وهو معنى غريب، إذ يقول أبو الحسن بن هارون يصف هلال العيد ويعلل نحوله وصفرة لونه، بأنها كانت من أسباب الصوم في رمضان:

يَا لَيْلَةَ الْعِيدِ عُنْتَ ثَانِيَةً وَعَادَ إِحْسَانُكَ الَّذِي أَذْكَرُ

إِذْ أَقْبَلَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى هَلَالِكَ النَّضْوِ نَاحِلًا أَصْفَرًا⁽³⁾.

" النَّضْوُ"⁽⁴⁾ البعير المهزول، وقول الشاعر: ناحلاً أصفر جاءت كناية عن الجوع.

اللون الأخضر:

اقتترنت أشهر دلالة نفسية للون الأخضر بخضرة أوراق النباتات والأشجار التي تدلّ على الحياة والخصوبة والنماء، لذلك نجد كثيراً من الشعراء، قد اسقطوا هذه الدلالات في أشعارهم للون الأخضر.

(1) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص214.

(2) لسان العرب، مادة حمم.

(3) الحلة السيرة، ص182.

(4) لسان العرب، مادة نضا.

ومن دلالات اللون الأخضر التي ترمز للحياة والغيث والخصوبة، يقول الشاعر ابن هانئ مادحاً

المعز لدين الله:

لَكَ الْعَصَا تُخْضِرُ يَمُوقُ تَرْدُهَا وَتَحْيَا بَرِيَّاهَا النَّفُوسُ الْهَوَالِكُ⁽¹⁾.

ويقول الشاعر ابن خفاجة في اللون الأخضر أيضاً وما يحمله من دلالة الحياة والخصوبة

والنماء:

وَإِذَا عَزَمْتَ فَلَا عَثَرَ بِحَادِثٍ فَرِحْتَ مِنْهُ ظَهَرَ صَعْبٍ شَامِسٍ

فَافْزَعْ إِلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ هَيْئَةً تَضَعِ الْعِنَانَ بِخَيْرِ رَاحَةٍ سَائِسٍ

وَاسْتَسْقِ مِنْهُ إِنْ ظَمَمْتَ غَمَامَةً يَخْضَرُ عَنْهَا كُلُّ عَوْدٍ يَابِسٍ⁽²⁾.

وهنا يخاطب الشاعر كل مَنْ أَلَمَّ بِهِ أَمْرٌ شَاقٌّ مُعَانِدٌ، بأن يذهب لممدوحه الذي سيسقيه بعد عطشه حتى

يرتوي عوده اليبس ويخضر، أي ينمو ويحيا بعد ما كان ذابلاً، فحمل الشاعر اللون الأخضر دلالة

الخصب والخير والنماء.

ويؤكد هذا المعنى الشاعر ابن عبد ربه، إذ يقول:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٍ إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ

هِيَ الدُّارُ مَا الْآمَالُ إِلَّا فَجَائِعٌ عَلَيْهَا وَلَا اللَّاتَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ

وَكَمْ أَسَخَنْتُ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عَيُونًا تَمُهَا الْآنَ سَاكِبُ

(1) ديوان ابن هانئ، ص244.

(2) ديوان ابن خفاجة، ص179.

فلا تكتحلْ غِيَاكَ مِنْهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ⁽¹⁾.

فهنا شبه الشاعر الحياة الدنيا بالشجرة الخصبة كثيرة الأوراق، فإنها تحيا وتورق من جانب وتذبل وتموت من جانب آخر. وقد تشابهت معاني هذه الأبيات إلى حد كبير من معاني الآية في قوله تعالى:

(اءَ لُمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ هُفُوًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) الحديد20.

ومن دلالات اللون الأخضر التي أسقطها الشعراء في أشعارهم دلالة الشباب والنضارة، قال

الشاعر جعفر بن الأبلار:

لَبَسَ الْبَيْعُ الطَّلُقُ بِرَدِّ شَبَابِهِ وَافْتَرَّ عَنْ عُتْبَاهُ بَعْدَ عِتَابِهِ

مَلِكُ الْفُصُولِ حَبَا الثَّرَى بِثَرَائِهِ مَتَّوِّجًا لِي وَهَادِهِ وَهَضَابِهِ

فَأَرَاكَ بِالْأَنْوَارِ وَشَيْ بِرُودِهِ وَأَرَاكَ بِالْأَشْجَارِ خُضَرَ قَبَابِهِ⁽²⁾.

في الشطر الأول من الأبيات استعارة مكنية حيث شبه الشاعر الربيع بإنسان يلبس ثياب تبرز نضارته وشبابه، وفي الشطر الأخير أوضح الشاعر لون برد الشباب الذي لبسه الربيع وهو اللون الأخضر.

ويقول الشاعر ابن خفاجة في هذا المعنى في قصيدة يخاطب فيها الوزير أبا محمد طاهر بن

عامر:

حَدَرَ الْقَعَّ عَنْ الصَّبَاحِ الْمُفْرِ وَلَوَى الْقَضِيبَ عَلَى الْكَثِيبِ الْأَعْدَرِ

(1) ابن عبد ربه (1993م). ديوانه تحقيق محمد التونجي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، ص49.

(2) البديع في فصل الربيع، ص27-28.

وتملّكته هِرَّةً في عِرَّةٍ فارتجّ في ورقِ الشَّبابِ الأخضرِ⁽¹⁾.

يصف الشاعر في البيت الأول حال بلاد الأندلس إبان فترة حكم المرابطين، ويشبه الشاعر دولة المرابطين بالصباح المسفر الذي أنار الأندلس بعد اندثار دويلات ملوك الطوائف التي شبهها بالقناع، كما شبه أيضا المرابطين " بالقضيب"⁽²⁾ أي الغصن الذي أزاح " الكثيب"⁽³⁾ أي الرمل " والأعفر"⁽⁴⁾ الرمل الأحمر ويعني فيه ملوك الطوائف، ويقصد في البيت الثاني أن بلاد الأندلس بعدما انحدر قناعها وانزاحت كثبانها الرملية المتمثلة في فترة ملوك الطوائف قد اكتست بحلة جديدة مليئة بالعزة والكرامة في حكم المرابطين حيث شبه هذه الفترة بفصل الربيع الذي يكسو الأرض خضرة ترمز لعنفوان الشباب ونضارته.

ومن دلالات اللون الأخضر دلالة لباس الحياة، فيشبه الشاعر الثرى بالفتاة التي تستتر حياءً وخجلاً من العيون كي لا يرى جمالها، وابن القرشية عبدالعزيز بن المنذر في هذا المعنى يقول:

كَأَنَّ الثَّرَى سَتَرْتُمُدُّ خِلَالَهُ بِأَكْوَاسٍ رَاحٍ رَاحِيَهُ الْكَوَاعِبُ

يُسَدِّرْنَ مَنْ فَرَطَ الْحَيَاءِ مَعَاصِمًا بِأَكْمَامِهِنَّ الْخُضْرَعَمْنَ يَ رَاقِبُ⁽⁵⁾.

هنا شبه الشاعر الثرى بالحسان اللاتي يتسترن باللباس الأخضر بسبب شدة الخجل والحياء من نظرات العيون.

(1) ديوان ابن خفاجة، ص 157.

(2) لسان العرب، مادة قضب.

(3) المصدر السابق، مادة كثب.

(4) المصدر السابق، مادة عفر.

(5) البديع في فصل الربيع، ص 103.

ويقول الشاعر أبو الوليد الحموي حول هذا المعنى في تشبيه نور الكتان بحجر الفيروز الكريم:

كَأَنَّ نَوْرَ الْكَتَانِ حِينَ بَدَا وَقَدْ جَلَا حُذُهُ صَدَا الْأَنْفُسِ
أَكْفُ فَيُورِجُ مَعَاصِمُهَا قَدْ سَتَرَتْهُنَّ خُضْرَةُ الْمَلْبَسِ⁽¹⁾.

ومن دلالات اللون الأخضر الدلالة على لباس النعيم في الدنيا والآخرة أيضاً، يقول الشاعر ابن

زيدون:

وَالْبِسْ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضْرَاءِ أَيْكَتَهَا ظِلًّا حَرَامًا عَلَى الْآفَاتِ وَالْغَيْرِ
نَعِيمَ جَنَّةٍ نُنِيَا إِنْ هِيَ انصَرَمَتْ نَعْتٌ بِالْخُلْدِ فِي الْجَنَّاتِ وَالنَّهْرِ⁽²⁾.

فقد حمل ابن زيدون اللون الأخضر على دلالة الخير من خصب ونماء، بالإضافة إلى الدلالة الدينية

من أنه لباس أهل الجنة، كما قال تعالى: (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَنِّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُخِطُّونَ

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْشٍ وَاسْتَبَقُوا مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمُ
الذُّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) الكهف 31.

اللون الأزرق:

اللون الأزرق هو لون الماء والسماء والأسنة الزرقاء، وقد كثر ذكر هذا اللون عند شعراء

الأندلس، ولكنهم لم يحملوه دلالات نفسية إلا في ما ندر، وجاء بدلالة صفاء الماء ونقاؤه، وجاء أيضاً

بدلالة المرض.

(1) البديع في فصل الربيع، ص 162.

(2) ديوان ابن زيدون، ص 111.

ومن الدلالات النفسية للون الأزرق التي تدل على الصفاء والنقاء، يقول أبو بكر بن الصائغ:

فيا مكرع الوادي أما فيك شربةٌ لقد سأل فيك الماءُ أزرقَ صافيا⁽¹⁾.

ومن دلالاته النفسية أيضاً دلالة المرض، وذلك في لون البشرة الزرقاء التي تشبه "الرمد"⁽²⁾. وللشاعر يحيى بن أحمد الخزرجي أبيات ينفي بها دلالة المرض في وصف وسيم أزرق أرمد ويشبّهه بالسّمهري لجماله، إذ يقول:

عابوهُ أسمر ناحلاً ذا زُرقةٍ رَمداً وظنوا أنّ ذاك يَشِينُهُ

جَهِلوا بأنّ السّمهريّ شَبِيهُهُ وَخِضابُهُ بِمِ القلوب يَزِينُهُ⁽³⁾.

"السّمهري"⁽⁴⁾: الرمح الصليب العود.

وفي هذا المعنى يقول أبو عثمان سعيد بن قوشتر:

عابوهُ بالزُّرْقِ الذي بجفونهِ والماءُ أزرقُ والسَّنانُ كذلكا⁽⁵⁾.

أنكر الشاعر في هذا البيت على من عاب زرقة الجفون حينما شبه زرقتها بزرقة الماء والرمح ليضيفي عليها دلالة نفسية ترمز للنقاء والصفاء للون السّنان والماء.

(1) مطمح الأنفس، ص 398.

(2) الرمد: وجع العين وانتفاخها. لسان العرب، مادة رمد.

(3) الحلة السبراء، ص 327.

(4) لسان العرب، مادة سمهر.

(5) نفح الطيب، ج 4، ص 22.

المبحث الثاني: الأبيات التي ذكر بها أكثر من لون

إن للألوان مدلولات نفسية ترجع في الغالب إلى أصلها الذي اكتسبته من الطبيعة، وقد عرّ الشعراء في أشعارهم عن الألوان وما تحمله من دلالات بذكرهم أكثر من لون في إسقاط المعنى المراد، ودائماً ما كانت تحمل هذه الألوان التّضاد في المعنى، فالبياض ضد السّود، والأخضر ضد الأصفر، والأصفر ضد الأحمر.

" إن تواتر فكرة التّضاد بكثرة، خاصة بالألوان، يدل على أن هذه الفكرة إنما تضرب بجذور عميقة في التركيبة العربية، وهي تركيبة تسمح بتجاوز الأضداد، كما يتجاوز الليل والنهار، والخصب والجذب، والخوف والأمن. وكما يتجاوز البحران، هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج"⁽¹⁾. وقد استخدم الشعراء فكرة التّضاد ووظفوها من خلال الألوان لما تحمله من دلالة رمزية تعزز إسقاطاتهم لهذه الفكرة، ومن هذا التّضاد التشاؤم والتفاؤل والخير والشر والأمل واليأس؛ في الأبيض والأسود، ومنه أيضاً العاشق والمعشوق والصحيح والعليل والناضر والذابل؛ في الأحمر والأصفر، واللونين الأبيض والأصفر كذلك؛ بين العاشق والمعشوق أيضاً، وتضاد اللونين الأخضر والأصفر في الدلالة على الصحة والمرض والنضارة والذبول والحياة والموت.

(1) إبراهيم، عبد الحميد (2008م). قاموس الألوان عند العرب، ط2، القاهرة، دار الفضيلة، ص12.

الأبيض والأسود:

يعدّ اللونان الأبيض والأسود أشهر متضادين في الطبيعة وأكثر الأشياء من حولنا نجدها متوشحة إما بالبياض ولما بالسواد، فهذين اللونين خاصية تميزهما عن باقي الألوان، فاللون الأبيض عاكس للضوء وللألوان، والأسود عكسه تماماً فهو يمتص الضوء وعادم له ومخمد للألوان، ولهذا نجد نور الصباح وظلام الليل لارتباطهما بخاصية هذين اللونين، ولما كان وجه الصباح أبيض منيراً واضحاً فقد ارتبطت أكثر الدلالات النفسية المحببة للنفس بالبياض، ولما كان سواد الليل مظلماً وموحثاً فقد ارتبطت الدلالات البغيضة على النفس بسواده. وبالرغم من اشتها هذين اللونين بهذه الخواص إلا أنهما في بعض المواضع يتبادلان الدلالة الرمزية، فيصبح الأبيض دال على التشاؤم، والأسود على التفاؤل، وكثرت هذه الإسقاطات لدى الشعراء عند حديثهم عن بياض الشعر والتطير منه بسبب الشيب وما يرمز له من انعدام القوة وقرب الأجل، فكان بياض الشعر بغيضاً يبعث على التشاؤم، وكان سواد الشعر محبباً يبعث على التفاؤل.

اشتهر اللون الأبيض بدلالة التفاؤل والحياة والنقاء والطهارة والفرح والسلام وبكل معنى من معاني الخير، والأسود بالتشاؤم والموت والهم والحزن والعداوة والبغضاء وبكل معنى للشر.

ومن دلالات اللونين الأبيض والأسود من تفاؤل وتشاؤم، يقول الشاعر ابن زيدون في ولادة بنت المستكفي، وقد أضناه الشوق بعد فراقها:

حَالَتْ فَتَقْدُكُمْ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا⁽¹⁾.

(1) ديوان ابن زيدون، ص299.

كانت العرب تطلق عبارة يوم أسود كناية عن التشاؤم، فقد عبر الشاعر عن أيامه التي قضاها بقرب محبوبته بأنها بيضاء تبعث على التفاؤل والفرح والسرور، وبفراقها أصبحت أيامه سوداء تبعث على التشاؤم والهم والحزن.

ومن دلالات الأبيض والأسود التضاد بين الموت والحياة والهناء والشقاء والمرض والعافية، وفي ذلك يقول شاعر الطبيعة ابن خفاجة:

ومخطوط السّواد كـ أن نَمعاً جَـرى وِماً هُناكَ عَلى حِدادِ
إذا التَّـبَتَ وجوهُ الحُكمِ يوماً قَضَى فَضَى عَلى نَـهْجِ السَّدادِ
فأَيُّ بياضٍ عَمى لَيس يَـعزى لـمُـشْتَمِلٍ بِسَـرِـيـالِ السَّوادِ⁽¹⁾.

"مخطوط السّواد"⁽²⁾: ما يكتب من العلوم والحكم والآداب، "الحداد"⁽³⁾: ثياب المآتم السود. ويقصد الشاعر أنه لولا الموت ما عرف طعم الحياة ولولا السواد ما عرف البياض، ولولا المرض ما عرف قدر العافية.

ويؤكد هذا المعنى الشاعر نفسه، في قوله:

كُلُّ رِيّانٍ إلى ظمإٍ كُلُّ وِجدانٍ إلى عَمٍ
آه تحت اللَّـيْلِ مِنْ أَرَقٍ ووراء البُرِّعِ مِنْ سَقَمٍ

(1) ديوان ابن خفاجة، ص88.

(2) المصدر السابق، ص88، (انظر الحاشية).

(3) لسان العرب، مادة حدد.

وَيْ يَاضُ الْعَيْشِ مُقْتَدِرُنْ بِسَوَادِ الْعُذْرِ وَاللَّامِ (1).

يقصد الشاعر ابن خفاجة في هذه الأبيات أن كل موجود مصيره إلى العدم والفناء، فالذي ارتوى من الماء سوف يظمأ، وإن الصحيح سوف يعتل بمرض، وبياض العيش الذي يرمز للهناء والصحة والحياة سوف يعقبه سواده الذي يرمز للشقاء والمرض والموت والفناء. فذكر الشاعر اللون الأبيض ووظفه للدلالة على الهناء والصحة والحياة، وحمّل اللون الأسود دلالة الشقاء والمرض والموت.

وللشاعر ابن خفاجة أيضاً أبيات بين الأسود والأبيض ودلالة التضاد من تفاؤل وتشاؤم، وأمل وبأس وخير وشر، إذ يقول:

وَلَيْلٍ إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ بَادَ فَانْقَضَى تَكَشَّفَ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبٍ

سَحَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِبٍ لَأَعْتَقَ الْآمَالَ بَيضَ تَرَائِبٍ (2).

استعرض الشاعر صوراً من المشاهد اللونية لليل الذي يرمز للتشاؤم، وفي محاولة منه للتخلص من هذه النظرات السوداوية شبه " الدياجي " (3) أي الليالي المظلمة بسود " الذوائب " (4) ويقصد فيها جدائل امرأة حيث قام بسحب جدائلها السوداء ليحتضن بيض " ترائبها " (5) أي بياض صدرها الذي يرى فيه الأمل والتفاؤل بعد اليأس والتشاؤم.

(1) ديوان ابن خفاجة، ص 296.

(2) المصدر السابق، ص 47 - 48.

(3) لسان العرب، مادة دجن.

(4) الذوائب جمع، مفردة نُؤَابَة: وهي منبت الناصية من الرأس، لسان العرب، مادة ذأب.

(5) لسان العرب، مادة ترب.

إن الحمامة البيضاء ترمز للتفاؤل والسلام، بينما الغراب الأسود يرمز للدلالة على التشاؤم، قال

ابن خفاجة:

فِي دَلِيلَةٍ قَدْ بَاتَ يَلْحَسُ تَحْتَهَا حَبْرًا لِسَانُ الْبَارِقِ الْمُتَوَقِّدِ

نَسَجَ الضَّرِيبُ بِهَا الظَّلَامَ حَمَامَةً فَاَبْيَضَ كُلُّ غُرَابٍ لَيْلِيٍّ أَسْوَدٍ⁽¹⁾.

"البارق"⁽²⁾: سحاب ذو برق، "الضريب"⁽³⁾: الصقيع والجليد، فصار الليل كالحمامة البيضاء من شدة بياض الثلج، فلم يبق لون أسود إلا أبيض. فقد شبه الشاعر بياض الثلج بالحمامة البيضاء التي تبعث في النفس التفاؤل والأمل، وشبه ظلام الليل بالغراب الأسود الباعث على التشاؤم واليأس، وكثيراً ما استخدم ابن خفاجة الحمامة البيضاء والغراب الأسود لهذه الدلالات.

ويقول الشاعر ابن خفاجة في الشيب:

وَابْيَضَ مِنْ فُودِي بِهِ أَسْوَدٌ كُنْتُ أَرَى الدَّيْلَ بِهِ أُيْضًا⁽⁴⁾.

فودي: "الفود"⁽⁵⁾: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. فقد حمل اللون في هذا البيت دالتين متناقضتين، فدلّ في الشطر الأول على التشاؤم من بياض الشعر، والتفاؤل بسواده، وأكد هذا التناقض في الشطر الثاني، من أن سواد شعره الذي يدل على شبابه وقوته ونضارته، كان يرى به ليله المظلم بياضاً يتفاعل فيه.

(1) ديوان ابن خفاجة، ص 95.

(2) لسان العرب، مادة برق.

(3) المصدر السابق، مادة ضرب.

(4) ديوان ابن خفاجة، ص 187.

(5) لسان العرب، مادة فود.

ولابن هاني في الشيب معنى مغاير عما ذهب له الشعراء من التشاؤم والتفاؤل في بياض الشعر وسواده، فقد شبه بياض الشعر بالحمامة التي ترمز للتفاؤل، وسواده بالغراب الذي يتشاءم به، إذ يقول:

وَحْضَبْتُ مُوَدَّ الْحِدَادِ عَلَيْكُمْ لَوْ أَنَّي أَجِدُ الْبَيَاضَ خَضَابَا

وَإِذَا أَرَدْتَ عَلَى الْمَشِيبِ وَفَادَةً فَاجْعَلْ إِلَيْهِ مَطْيِكَ الْأَحْقَابَا

فَلتَأْخُذَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَمَامَةً وَلتَنْفَعَنَّ إِلَى الزَّمَانِ غُرَابَا⁽¹⁾.

الحمامة: كنى بها عن الشعر الأبيض، كما كنى بالغراب عن الشعر الأسود. ويقصد الشاعر بأن يقول: إن بياض الشعر وما كان من قرب الأجل والانتهاى من صراع الدنيا وما فيها من الظلم والجور، هو لون محبوب ويبعث على التفاؤل لدى الشاعر، مما جعله يشبهه بالحمامة البيضاء، وإن سواد الشعر الذي يدل على الشباب وتوسط الإنسان في هذه الرحلة الشاقة والمتعبة، فشبه الشعر الأسود بالغراب الذي يتشاءم منه.

الأحمر والأصفر:

لقد ارتبط ذكر اللون الأحمر كثيراً لدى الشعراء بخجل المعشوق وحمرة خدوده ويقابله صفرة العاشق التي كانت من أسباب عشقه وشوقه للمعشوق وما ينتج من هذا العشق من وجد وتعب وخوف، يقول أحمد بن فرج الجياني في وصف الربيع:

أَمَّا الرَّبِيعُ فُوقْدَ أَرَاكَ حَدَائِقَا لَبَسَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَشَيْئاً رَائِقَا

(1) ديوان ابن هاني، ص 50.

مِنْ قَانِي خَجَلٍ وَأَصْفَرُ مَظْهَرٍ لِلوَجْدِ كَالْمَعشُوقِ فَاجَا الْعَاشِقُ⁽¹⁾.

إنَّ الشاعر هنا أخرج صور فنية حية في غاية الجمال، فنقل لنا صورة خجل المعشوق حينما تفاجأ بحب عاشقه الشديد له، فاحمر المعشوق خجلاً من اصفرار لون العاشق الدال على حال " الوجد"⁽²⁾ أي الحب الشديد.

ويقول الشاعر المتوكل بن أبي الحسين يصف النرجس والورد:

نَرْجِسٌ يَرْنُو بِأَحْظَتِهِ نَحْوَ وَرْدٍ طَالَمَا انْقَبَا

فَتَرَى ذَا سَافِرًا خَجَلًا وَتَرَى ذَا عَاشِقًا نَصَبًا⁽³⁾.

علل الشاعر صفرة النرجس من " نصبه"⁽⁴⁾ أي تعبته بسبب عشقه للورد الذي تستر عنه وانتقب لشدة حياته وخجله من عاشقه، وفي هذه الصورة استعارة مكنية حيث شبه النرجس بالعاشق وشبه أيضاً الورد بالمعشوق.

وللشاعر أحمد بن هشام شعر يصف فيه النرجس والورد ووصفهما بأنهما يضحكان، فشبههما بعاشق ومعشوقه اللذين التقيا في الروض فكانا ضاحكين ومستأنسين من هذا اللقاء، وعلل صفرة النرجس الزاهية والفاقة بأنها تشبه صفار وجه المحب الذي يهجره الحبيب، إذ يقول:

أَنْظُرْ إِلَى الرَّوْضِ فِي جَوَانِبِهِ أَحْمَرُ ضَادِكٌ وَأَصْفَرُهُ

(1) البديع في فصل الربيع، ص 8.

(2) لسان العرب، مادة وجد.

(3) البديع في فصل الربيع، ص 40.

(4) لسان العرب، مادة نصب.

إِذَا هَفَّتْ فَوْقَهُ الرِّيحُ سَرَى بِهَفْوِهَا مَسْكُهُ وَعَنْبَرُهُ
نَرَجِسُهُ تَسْتَجِدُّ صُفْرَتَهُ حَتَّى كَأَنَّ الْحَبِيبَ يَهْجُو⁽¹⁾.

وفي علاقة الأحمر بالأصفر كالعلاقة بين العاشق والمعشوق فذاك وجل وهذا خجل، يقول الشاعر الحسن بن البرقعدي شعراً رائعاً في هذا المعنى:

يَا حُسْنَهَا دَائِرَةً مِنْ يَاسْمِينٍ كَالْحُلِيِّ
وَالْوَرْدُ قَدْ قَابَلَهَا فِي حُلَّةٍ مِنْ خَجَلٍ
كَمَعِاشِقٍ وَحَبِّهِ تَغَامِزًا بِالْمَقْلِ
فَاحْمَرَّ ذَا مِنْ خَجَلٍ وَاصْفَرَّ ذَا مِنْ وَجَلٍ⁽²⁾.

صور الشاعر اللون الأحمر واللون الأصفر بأنهما عاشقان وقد تقابلا وتغامزا بالمقل فاحمرّ المعشوق من الخجل واصفرّ العاشق من " الوجل"⁽³⁾ أي الخوف.

اجتمع اللونان الأحمر والأصفر على خدي الشاعر ابن خفاجة لارتباط الدمع الأحمر الذي يرمز للحزن الشديد بالوجه المصفر الشاحب المعتل من أسباب الحزن الشديد أيضاً، إذ يقول:

وَإِذَا غَشِيَتْ دِيَارَ لَيْلَى بِالْأَسْوَى فَاسْأَلِ رِيَّاحَ الطَّيْبِ عَنْهَا تُخْبِرُ
وَالْمَخَّ صَحِيفَةً صَفَحْتِي فَاقْرَأْ بِهَا سَطْرَيْنِ مِنْ دَمْعٍ بِهَا مُتَحَدِّرِ

(1) البديع في فصل الربيع، ص36.

(2) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، ص354.

(3) لسان العرب، مادة وجل.

كَتَبَتْهَا تَحْتَ الظَّلَامِ يَدُ الضَّنَى خَوْفُ الْوُشَاةِ بِأَحْوٍ فِي أَصْفَرٍ⁽¹⁾.

لقد اشتهرت علاقة الورد بالنرجس لدى الشعراء بأنها علاقة العاشق ومعشوقه، وعللوا حمرة الورد بأنها من الخجل، وعللوا صفرة النرجس بأنها من شدة العشق، ولكن للشاعر أبي بكر بن القوطية معنى مغاير لما ذهب له الشعراء، ففي أبيات له قام بتفضيل الورد على النرجس وعلل حمرة الورد بأنها كانت بسبب نضارته وحيويته وحمله دلالة الحياة والبهاء، وعلل صفرة النرجس بأنها كانت بسبب حسده للورد، وحمله دلالة الذبول والموت التي كانت من أسباب الحسد، كان النرجس حاسداً والورد محسوداً، والورد الوارد يدل على الحياة، والنرجس الحاسد يدل على الممات، يقول:

كُهِفَتْ خَدُودُ الدَّرَجِسِ الْصَفْرِ مِنْ	حَدٍ وَقَدْ دُيْنُوِي الدَّوِّ الْحَاسِدِ
وَأَصْفَرَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَقْضِيَ أَسَى	لَمَّا رَأَى الْوَرْدَ الَّذِي هُوَ وَارِدٌ
وَالنَّرْجِسُ الْصَفْرُ لَيْسَ بِنَافِعٍ	مَيْتاً وَلَا فِي الرُّوْضِ إِذْ هُوَ وَافِدٌ
هَذَا عَمَّا قِيمَ لَا يُشَادُ بِذِكْرِهِ	أَبَدًا وَعَقْبُ الْوَرْدِ بَاقٍ خَالِدٌ
هَذَا يَبْشُرُ بِالْحَيَاةِ ذَاكَ يَنْهَى	ذُرْبَ الْمَمَاتِ إِذْ أَتَاهُ الْعَائِدُ
أَيْنَ الْحَيَاةِ مِنَ الْمَمَاتِ نَفَاسَةٌ	وَرِيَاسَةٌ لَوْلَا الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ ⁽²⁾ .

(1) ديوان ابن خفاجة، ص 158-159.

(2) البديع في وصف الربيع، ص 78-79.

الأبيض والأصفر:

كما دلّ اللون الأحمر لدى الشعراء على المعشوق، فقد أطلق اللون الأبيض عند الشعراء على المعشوق أيضاً، ولكن بقي اللون الأصفر مع هذا وذاك حاملاً نفس الدلالة النفسية للعاشق الذي اصفرّ لونه بسبب فرط صبابته وعشقه، يقول الشاعر يحيى بن هذيل:

والرَّوْضُ قَدْ أَلْفَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ عَيْنٌ تَوْقَفَ دَهْهُهَا لِرَقِيبٍ

فكأنما الصفراءُ إذ تومي إلى الـ ببيضاءٍ صبَّ جانحٌ لحبيب⁽¹⁾.

"صبَّ"⁽²⁾ لحبيب: أي مشتاق إليه، و"جنح"⁽³⁾ له بمعنى مال إليه. وهنا تشبيه تمثيلي حيث شبه الشاعر الوردة الصفراء وهي تنتظر للوردة البيضاء بعاشق مشتاق يميل لمعشوقه.

ويقول أبو الحسن بن علي الأشجعي في هذا المعنى من دلالة الأصفر على العاشق الصَّبَّ والأبيض على المعشوق:

مَا لِلْيَهَارِ نَظِيرٌ فِي النَّوَاوِيرِ إِذْ صَارَ أَوَّلَ مَخْصُوصٍ بِتَكْبِيرِ

أما ترى الصَّبَّ وَالْمَعْشُوقَ قَدْ جُمِعَا فِي لَوْنِهِ بَيْنَ تَبْيِضٍ وَتَصْفِيرِ⁽⁴⁾.

(1) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص49.

(2) لسان العرب، مادة صبيب.

(3) المصدر السابق، مادة جنح.

(4) التشبيهات، ص103.

اشتهر اللون الأصفر بدلالة العشق لكثرة ما ذهب إليه الشعراء من أن دلالة اللون الأصفر على المرض والسهد من أثر فرط الصبابة فتطوّر المعنى حتى استقل اللون الأصفر في بعض الأحيان بدلالة العاشق. يقول الشاعر جعفر بن عثمان المصحفي في وصف سوسنة:

يَارِبَّ سَوْسَنَةَ قَدْ بَتُّ أَلْتُمَهَا وَمَالَهَا غَيْرَ طَعْمِ الْمَسْكِ مِنْ رِيْقٍ

مُصَفَّرَةٌ الْوَسْطُ بَيْضٌ جَوَانِبُهَا كَأَنَّهَا عَاشِقٌ فِي حَجَرٍ مَعْشُوقٍ⁽¹⁾.

ومن بشائر بدء فصل الربيع وتفتح الأزهار بعد هطول الأمطار مما يبعث في النفس علامات الفرح والسرور، جاءت دلالة الألوان على ذلك، يقول الشاعر عبدالله بن نفيل:

بِكِتَالِ السَّمَاءِ عَلَى الرُّبَا فَتَبَسَّمَتْ مِنْهَا تُغَوِّرُ عَنْ عَقَائِلِ جَوْهَرٍ

أَهْدَى الْيَبْعِ إِلَيْهِ سَكَبَ سَمَائِهِ فَكَسَا الذَّرَى مِنْ كُلِّ لَوْنٍ أَزْهَرَ

ضَحِكَتْ مُتَوْنُ الْأَرْضِ عِنْدُ كَائِهِ عَنْ أَبْيَضٍ يَقِي يَرُوقُ وَأَصْفَرَ⁽²⁾.

"الرُّبَا"⁽³⁾، جمع ربوة: وهي ما ارتفع من الأرض، "عقائل"⁽⁴⁾ أي درر، "متون"⁽⁵⁾ جمع متن، وهو ظهر كل شيء، "يقق"⁽⁶⁾: شديد البياض، ناصعة. فقد صور الشاعر مشاهد الأرض في فصل الربيع بأنها

(1) الحلة السبراء، ص 149.

(2) البديع في فصل الربيع، ص 15.

(3) لسان العرب، مادة ربا.

(4) المصدر السابق، مادة عقل.

(5) المصدر السابق، مادة متن.

(6) المصدر السابق، مادة يقق.

ضاحكة متبسمة من أثر الألوان التي اكتست بها، فكانت دلالة الفرح والسرور للأزهار البيضاء والصفراء التي توشحتها الأرض بعد سقوط الأمطار.

الأحمر والأبيض:

أطلق الشعراء كثيراً دلالة الأبيض والأحمر على المعشوق، وهذا الشاعر ابن عبد ربه يجمع اللونين في وصف البيضاء التي احمر خدّاه خجلاً، فيقول:

أَبَيْتُ تَحْتَ سَمَاءِ الدَّهْوِ مُتَقَاً شمس الظهيرة في ثوبٍ من الغَقِ
بيضاءُ يُحْمَرُ خَدَّاهَا إِذَا خَجَلَتْ كما جرى ذَهَبٌ فِي صَفْحَتِي وَرَقٍ⁽¹⁾.

أبرز الشاعر صورة اللون الأحمر الدال على خجل محبوبته في صفحة خدّها الأبيض من خلال استحضار صورة خطوط لون الذهب على صفحة الورق ووجه الشبه هنا هو إبراز المشهد اللوني بين الصورتين.

ارتبط اللونان الأحمر والأبيض في الدموع الحمر والشيب الأبيض بدلالة الحزن الشديد، يقول الشاعر ابن حمديس الصقلي:

أَتَانِي بَدَارُ النَّوَى نَعِيْهُ فَيَا رَوْعَةَ السَّمْعِ بِالدَّاهِيَةِ
فَحَمَّرَ مَا أَبْيَضَ مِنْ عَيْنِي وَبَيَّضَ لَمَّتِي الدَّاجِيَةُ⁽²⁾.

(1) ديوان ابن عبد ربه، ص 126.

(2) ابن حمديس (د.ت). ديوانه تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ص 523.

" لَمَّتِي"⁽¹⁾ اللمة: شعر الرأس، وقد قال الشاعر هذه الأبيات يرثي أباه فيها، وذكر أثر سماع خبر الوفاة الذي راعه مما أدى إلى انهيار دمه حتى احمر من شدة الحزن، وشاب رأسه من شدة الحزن أيضاً.

الأبيض والأخضر:

يقول الشاعر أبو بكر بن القوطية في وصف النور الأبيض وهو في أحضان أوراقه الخضراء:

وأبيض ناصع صافي الأديم تطلّع فوق مخضّر بهيم

زنيه النفس همته المعالي ذكي العف م سكي السيم⁽²⁾.

جاءت دلالة اللون الأبيض على الصفاء والنقاء، ودلّ اللون الأخضر على الظلام، وكانت العرب تطلق على الشجر الكثيف بالسواد، "وسميت قرى العراق سواداً لكثرة شجرها ونخيلها وزرعها"⁽³⁾، واستخدم الشاعر لفظ بهيم على الأخضر وهو لفظ يطلق على اللون الأسود، ليؤكد عتمته وظلامه التي قربت من السواد لكثرة أوراقه.

الأخضر والأسود:

يقول الشاعر ابن خفاجة في مدح أبي عبدالله بن حميد:

فاشفع مغترب رجاك على النوى يمدد إلى الخضراء راحة لأمس

(1) لسان العرب مادة لم.

(2) البديع في فصل الربيع، ص 99.

(3) لسان العرب، مادة خضر.

وَأَمْدُ إِلَيْهِ بِكَفٍّ جَدٍّ قَائِمٍ تَجَذَّبَ بِهِ مِنْ ضَيْعٍ جَلَّالٍ سِ

فَلَرَّبَّ يَوْمٍ قَدْ رَفَعَتْ بِهِ الْمُنَى وَمَحَوْتَ فِيهِ سَوَادَ ظَنِّ الْبَائِسِ⁽¹⁾.

لجأ الشاعر إلى ممدوحه ومدَّ يد الرجاء إلى الخضراء ويقصد الشاعر بها أرض ممدوحه الخصبة أي الكريمة في خيراتها وعطاياها وكرمها، لكي يحقق منى الشاعر بأن يجذب الممدوح " ضيع"⁽²⁾ أي عضد الشاعر ويجلي الممدوح همه وسواد ظنه البائس، فكانت دلالة اللون الأخضر على الخصوبة والخير والكرم، ودلالة اللون الأسود على الهم والبدُّوس.

الأخضر والأبيض والأصفر:

يصف الشاعر ابن القوطية ضحك الثرى واستبشاره ببدا فصل الربيع، إذ يقول:

ضَحِكُ الثَّرَى وَبَدَا لَكَ اسْتِبْشَارُهُ وَاخْضَرَ شَارِبُهُ وَطَرَّ عَذَارُهُ

وَتَعَتَّ صُلْعُ الرُّبَا بِنَبَاتِهَا وَتَرْتَمَتْ مِنْ عُجْمَةٍ أَطْيَارُهُ

بَيْضاً وَصُفْراً فَاقِعَاتٍ صَائِغٌ لَمْ يَنَأْ دَهْمُهُ وَلَا دِينَارُهُ⁽³⁾.

" عذاره"⁽⁴⁾ أي خط لحيته، وأراد نبت العشب، "صلع"⁽⁵⁾ الربا يقصد الأرض التي لا نبت فيها، وهنا حمل الشاعر اللون الأخضر دلالة الحياة والشباب، وحمل الأبيض والأصفر الفاقع دلالة الفرح والمسرّة.

(1) ديوان ابن خفاجة، ص 182.

(2) لسان العرب، مادة ضيع.

(3) البديع في فصل الربيع، ص 23- 24.

(4) لسان العرب، مادة عذر.

(5) المصدر السابق، مادة صلغ.

الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر:

للشاعر أحمد بن عبد الملك الكاتب أبيات في وصف ألوان الأعلام في قصر ممدوحه التي دلّ كل لون فيها على دلالة نفسية ترمز لفتوحات الممدوح وبطولاته، إذ يقول:

وَأَعْلَامُ قَصْرِ بِالْفَتْوحِ خَوَافِقُ تَرَى حَوْلَهَا طَيْرَ الْمَنِيَةِ حُمَا
كَأَنَّ ابْيَاضَ الْبَيْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ وَذَا رَأْيُ - هُفَيْنَا إِذَا الْخُطْبُ أَظْلَمَا
كَأَنَّ احْمَرَّ الْحُمْرِ هَرَّةٌ سَيْفِهِ إِذَا هَرَّةٌ فِي الْمَشْرِفَةِ صَمَّمَا
كَأَنَّ اصْفَرَّ الصُّفْرِ مِنْ لَوْنٍ مِنْ غَدَا إِلَى عَفْوِهِ مِنْ سُخْطِهِ مُتَظَلَّمَا
كَأَنَّ اخْضَرَّ الْخَضِرِ مَوْقِعُ جُودِهِ إِذَا مَا اشْتَكَى بَطْنُ الثَّرَى عِظَّةَ الظَّمَا⁽¹⁾.

شبه الشاعر بياض العلم ببياض وجه الممدوح، فكانت دلالة اللون الأبيض على النقاء والصفاء، وقوله: الخطب أظلما أي أسودا، فدلّ اللون الأسود على المصائب والأحزان. وشبه احمراره بلون "المشرفية"⁽²⁾ أي السيوف التي امتلأت بالدم إثر كثرة قتله للأعداء حتى تغير لونها إلى اللون الأحمر، فحمل اللون الأحمر دلالة الدم والقتل. وشبه الأصفر بوجوه أعدائه من شدة خوفهم منه، فجاءت دلالة اللون الأصفر على الخوف. وشبه الشاعر لون العلم الأخضر بجناب ممدوحه الذي يروي الظمأ ويغيث الأرض المجدبة لكرمه وكثرة عطائه للمحتاج، فدلّ اللون الأخضر على الحياة والخصوبة والخير والغيث.

(1) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص211.

(2) المشارف: قرى من أرض اليمن، وقيل: من أرض العرب تدنو من الريف، والسيوف المشرفية منسوبة إليها. لسان العرب، مادة شرف.

الخاتمة

لقد تناول الباحث هذه الدراسة في ثلاثة فصول، في الفصل الأول تناول فيها مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها والإطار النظري والدراسات السابقة، وكانت المقدمة مدخلا للدراسة، والتي مهد فيها الباحث موضوع الدراسة تدريجياً من اللغة إلى الشعر الجاهلي وصولاً إلى الشعر الأندلسي، وذكر اللون وأصول توظيفه في القاموس العربي، وما يحمل من دلالات نفسية عبر عنها الشعراء، ومدى ارتباط شعر شعراء المغرب العربي بالمشرق العربي.

وفي الفصل الثاني استخرج الباحث الدلالات النفسية للألوان من مجالات مختلفة، منها دلالة اللون النفسية في اللغة وما تعارف عليه العرب من إطلاق اللون وما يحمل من رمزية لدلالاته النفسية، وفي القرآن الكريم، وفي الشعر العربي، وعند علماء النفس، وفي الأديان، وفي المعتقدات والأساطير، وعند مفسري الأحلام.

أما في الفصل الثالث فقد تم ذكر اللون وما يحمل من دلالة نفسية في شعر الطبيعة لدى شعراء الأندلس، واعتمدت الألوان الأساسية في موضوع الدراسة وهي: الأبيض، والأسود، والأحمر، والأصفر، والأخضر، لما فيها من أرض صالحة لوضع أعمدة الدراسة، بالإضافة إلى اللون الأزرق، وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، تناول المبحث الأول الأبيات التي ذكر بها لون واحد، وتناول المبحث الثاني الأبيات التي ذكر بها أكثر من لون، وحوى المبحثان دلالات الألوان النفسية فقط مجردة من الدلالات الأخرى، فقد استخرج الباحث من شعر الطبيعة الأبيات التي ذكر بها اللون الذي يرمز للدلالات النفسية المتعددة من حزن وفرح وتشاؤم وتفاؤل وخير وشر وحياة وموت وخجل وحياء ونضارة وصحة ومرض وحسد وأمل ويأس ونقاء وصفاء.

ثم خاتمة الدراسة وما اشتملت عليه من فصول، ثم النتائج التي توصل لها الباحث من خلال دراسته، ثم قائمة المصادر والمراجع.

النتائج:

من خلال الدراسة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- 1- إنَّ الشعر طبيعة واللون من الطبيعة ويدل عليها أو هو مشتق منها، بمعنى أن الشعر هو نتاج شعور الإنسان وأحاسيسه التي وضعها الشاعر في قالب الوزن والقافية، وكلما كان الشعر بسيط المعاني مرقق الألفاظ، وكانت الصور مستوحاة من الطبيعة كان أعذب في المسامع ومحركاً للمشاعر.
- 2- إن طبيعة أرض الأندلس الساحرة جعلت من الطبيعي أن يتفنن شعراؤها بالتغني بالطبيعة.
- 3- كانت هناك في الأندلس مجالس شعرية متخصصة فقط في شعر الطبيعة، فكانت أزهار الرياض والبساتين والحدائق وأزهار فصل الربيع، تمثل أداة التحدي بين الشعراء في إظهار براعة كل شاعر في وصفها.
- 4- أكثر شاعر تغنى بالطبيعة ووظف ألوانها بدلالاتها المتعددة هو الشاعر ابن خفاجة الملقب بشاعر الطبيعة.
- 5- أكثر ديوان شعر نهل منه الباحث مصادر الدراسة المتمثلة في الألوان التي لها دلالات نفسية هو ديوان الشاعر ابن خفاجة، وأقل ديوان هو ديوان الشاعر ابن هانئ.
- 6- أهم كتاب احتوى شعر الطبيعة للشعراء الأندلسيين، وكان غزيراً بذكر الألوان هو كتاب البديع في فصل الربيع للنمري.
- 7- للون الواحد أكثر من دلالة نفسية، ولكن يغلب عليه دلالة كثر استخدامها حتى اشتهر بها.

8- غلب على اللون الأبيض دلالة النقاء والصفاء والتفاؤل، كما غلب على اللون الأسود دلالة الحزن واليأس والتشاؤم، واشتهر اللون الأحمر بدلالة الموت والدم في غرض المدح والفخر، وبدلالة الخجل والحياء في غرض الوصف والغزل، كما اشتهر اللون الأصفر بدلالته على المرض من أسباب العشق، وغلب على اللون الأخضر دلالة الحياة والخصوبة والنضارة، واللون الأزرق على النقاء والصفاء في وصف الماء.

9- الدلالات النفسية للون الأبيض، الشرف والنقاء والصفاء والطهارة والتفاؤل، والتشاؤم والحزن في الشيب وفي لبس الحداد. ودلالات اللون الأسود النفسية هي الحزن واليأس والتشاؤم والهم والغم والحسد والكآبة والبغض، والتفاؤل في سواد الشعر. ودلالات اللون الأحمر الخجل والحياء والنضارة والحياة والصحة والموت والدم والحقد والبغض والحسرة والندم. ودلالات الأصفر المرض والخوف والحسد والحزن والجوع والموت. واشتمل الأخضر على دلالة الحياة والصحة والنضارة والخصوبة والخير والنماء والحياء، ودلالة اللون الأزرق على النقاء والصفاء وعلى المرض.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ابن الأبار، محمد بن عبدالله (2008م). *الحلّة السرياء*، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- إبراهيم، عبدالحميد (2008م). *قاموس الألوان عند العرب*، ط2، القاهرة، دار الفضيلة.
- ابن الأبرص، عبيد (1994م). *ديوانه*، شرح أشرف أحمد عدرة، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.
- أحمد، حيدر (2012م). *إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة*، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 20، ع1.
- إسماعيل، عز الدين (د.ت). *التفسير النفسي للأدب*، ط4، مكتبة غريب.
- الأعشى (د.ت). *ديوانه*، تحقيق محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز.
- الألباني، محمد ناصر الدين (1995م). *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الألوسي، محمود شكري (د.ت). *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، ج2.
- امرؤ القيس (2004م). *ديوانه*، تحقيق حسن السندوبي، ط5، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الباجلاني، آزاد محمد (2013م). *المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح حتى السقوط*، ط1، الأردن، دار غيداء.
- البحيري، عبدالرقيب أحمد (1987م). *الشخصية النرجسية دراسة في ضوء التحليل النفسي*، ط1، دار المعارف.
- ابن برد، بشار (د.ت). *ديوانه*، جمع وترتيب محمد بدر الدين العلوي، بيروت، دار الثقافة.

- البيرماني، فرح (2012م). دلالة اللون في الشعر النسوي العراقي المعاصر، مجلة الأستاذ، ع203.
- البنيك، أماني (2010م). دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- التلمساني، أحمد بن محمد المقري (1988م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الثالث، ج3، بيروت، دار صادر.
- جرير (1986م). ديوانه، بيروت، دار صادر.
- ابن جندل، سلامة (1987م). ديوانه، تحقيق فخر الدين قباوة، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الحادرة (د.ت). ديوانه، إملاء أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي، تحقيق ناصر الدين الأسد، مج15، ج2، مجلة معهد المخطوطات العربية.
- ابن حزم (2012م). طوق الحمامة في الألفة والألاف، أخرجه نزار وجيه فلّوح، ط1، بيروت، المكتبة العصرية.
- بن حَزْزَة، الحارث (1991م). ديوانه، تحقيق أملي بديع يعقوب، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الحلبي، صفي الدين (1962م). ديوانه، بيروت، دار صادر.
- حمدان، أحمد (2008م). دلالات الألوان في شعر نزار قباني. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- ابن حمديس (د.ت). ديوانه، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
- الحميري، إسماعيل بن محمد بن عامر (1997م). البديع في فصل الربيع، تحقيق علي إبراهيم كردي، ط1، دمشق، دار سعد الدين.

- ابن حنبل، أحمد بن محمد (د.ت). **المسند**، شرح أحمد محمد شاكر، ج2، القاهرة، دار الحديث.
- حميد، بدير متولي (1964م). **قضايا أندلسية**، ط1، القاهرة، دار المعرفة، ص62.
- ابن خاقان، الفتح بن محمد (1983م). **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، دار عمار.
- خضر، عادل كمال، و عبدالغني، خالد محمد (2008م)، "العلامات الدالة على القلق في اختبار رسم المنزل والشجر والشخص" مجلة علم النفس، مصر.
- ابن الخطيب، لسان الدين (2001م). **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط4، ج2، بيروت، مكتبة الخانجي.
- ابن خفاجة (2006م). **ديوانه**، تحقيق عبدالله سنده، ط1، بيروت، دار المعرفة.
- الدهان، سامي (1963م). **الوصف**، مصر، دار المعارف.
- ديوان الهذليين (1965م). **القسم الثاني**، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
- الذبياني، النابغة (1996م). **ديوانه**، شرح عباس عبدالساتر، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الرازي، محمد فخر الدين (1981م). **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ط1، ج20، دار الفكر.
- الرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد (1983م). **أمثال الحديث**، عبدالعلي عبدالحميد الأعظمي، ط1، الدار السلفية.
- ابن أبي ربيعة، عمر (1996م). **ديوانه**، قدمه فايز محمد، ط2، بيروت، دار الكتاب العرب.
- ذو الرُّمّة (1995م). **ديوانه**، شرح أحمد حسن بسج، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن الرومي (2002م). **ديوانه**، شرح أحمد حسن بسج، ط3، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الزواهرة، ظاهر (د.ت). **اللون ودلالته في الشعر**، ط1، عمان، دار الحامد.

- ابن زيدون (2004م). ديوانه، تحقيق علي عبدالعظيم، ط3، الكويت، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- السامرائي، علي إسماعيل (2013م). اللون ودلالاته الموضوعية والفنية في الشعر الأندلسي، ط1، الأردن، دار غيداء.
- ابن أبي سلمى، زهير (1988م). ديوانه، شرح علي حسن فاعور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (2002م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان، تحقيق عبدالرحمن بن معلاً الأويحيى، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ابن سيرين، محمد ، والناقلي، عبدالغني (2008م). معجم تفسير الأحلام، إعداد باسل البريدي، دمشق - بيروت، مطبعة اليمامة، انظر ص167.
- شحادة، نصره (2013م). اللون ودلالاته في شعر البحري. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الخليل، الخليل، فلسطين.
- شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي (2002م). جمع وتحقيق عبدالحميد المعيني، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- شلبي، سعد إسماعيل (د.ت). بيئة الأندلس وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، مصر، دار النهضة.
- الطبيب، عبدالله محمد بن الكتاني (د.ت). التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة.
- الضبي، ربيعة بن مقروم (1999م). ديوانه، تحقيق تناصر عبدالقادر فياض حروفش، ط1، بيروت، دار صادر.

- عباس، إحسان (1977م). تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، بيروت، دار الثقافة.
- ابن عبد ربه (1993م). ديوانه، تحقيق محمد التونجي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ابن العبد، طرفة (2002م). ديوانه، شرح مهدي محمد ناصر الدين، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية.
- عتيق، عبدالعزيز (1976م). الأدب العربي في الأندلس ، ط2، بيروت، دار النهضة.
- علي، إبراهيم محمد (2001م). اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، ط1، لبنان، طرابلس.
- عمر، أحمد مختار (1982م). اللغة واللون، ط1، القاهرة، عالم الكتب.
- عنتره (1992م). ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.
- القرطبي، أبو بكر (2006م). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- القسطلي، ابن دراج (1961م). ديوانه، تحقيق محمود علي مكي، ط1، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي.
- مسلم (2006م). صحيح مسلم، تحقيق نظر بن محمد الفارياني أبو قتيبة، ط1، دار طيبة.
- المنصوري، عبدالرحمن (2000م). اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، بيروت، اتحاد الكتاب العرب.
- ابن منظور، جمال الدين (2011م). لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- النمرى، الحسين بن علي (1976م). الملمع ، تحقيق وجيهة أحمد السّطل، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت.
- ابن هانئ (2008م). ديوانه، ط2، بيروت، دار صادر.

- اليشكري، سويد بن أبي كاهل (2007م). ديوانه، جمع وتحقيق شاكر العاشور، ط1، دمشق، دار
الينابيع.